(٧٥)

|| لا تكن عدوًا لنفسك ||

أغلق الكتاب الذي بدأ بقراءته قبل شهر مضى وها هو ينهيه أخيرًا، إنها أطول مدة استغرقها في قراءة كتاب ومع هذا يشعر بأنه لم يعطيه حقه فهو بالكاد يتذكر سطوره، يا لها من مضيعة لعمل جيد كهذا، سوف يعيد قراءته يومًا ما حين يستعيد توازنه

وضعه على الطاولة أمامه ثم رفع يده ليدلك مؤخرة عنقه متنهدًا بعمق، إنها فترة الغداء الآن لهذا الصف فارغ من عداه، يتذكر بأن اندرو أخبره بأنه سيتناول غداءه مع كالفن بالأسفل

نهض من كرسيه وخرج من غرفة الصف، كان هاكون ولافي يتحدثان وهما يشربون الشاي في الصالة بينما تدرس أنيا في الاستراحة الجانبية المطلة على فناء المدرسة

بدا الجميع منشغلًا فلم ينتبهوا له حين تخطاهم باتجاه الكافتيريا، كان يفكر بشرب شيء دافئ لكن ليس القهوة، لذا بحث عن سيزار ولكنه لم يجده

دخل لقسم الخدمة فوجد براين يقف منتظرًا أمام آلة تسخين الماء بينما هو يتحدث مع مادلين المنشغلة بتفريغ مجموعة صناديق قرب خزانة الأكواب

ابتسم له ما إن انتبه على دخوله فسأله بينما هو يقف إلى جانبه

- هل تعرف أين سيزار؟

- نعم، لقد ذهب ليستلم شحنة القهوة من مكتب الاستعلام

همهم كيفين مرخيًا عينيه فسأله براين

- أنني أعد بعض الشوكلاه الساخنة، أتريد البعض؟

مالت بسمته المرهقة وقال

- نعم، كنتُ أفكر بشرب شيء ساخن

مد له براين الكوب قائلًا بثقة

- سوف تدمن هذا من يدي

لم يعطه كيفين أي ردة فعل حين تناوله من يده ورشف منه بينما هو يحدق لجانب وجه مادلين الظاهر له

كانت تبدو مركزة جدًا بينما هي تقارن شيئًا بيدها مع صورة في هاتفها، ابتسمت مرتاحة وقالت وهي تستدير مواجهة لهم

- أظن بأني وجدتُ كوب ايلك

نظر لها براين عابسًا بسبب تجاهل كيفين له وقال بعدم اهتمام

- هل كان ضائعًا أصلا!

ثم حمل أحد الكوبين الآخرين وقال بينما هو يخرج

- مادلين لقد تركت كوبك قرب السكر

تقدم كيفين منها فتبين له ما كانت تفرغه من الصناديق، لقد اشترت العديد من الأكواب المشابهة لكوب ايلك ويبدو أنها كانت تقارن بينهم وبين صورة الكوب الأصلي في هاتفها حتى وجدت المطابق

- ماذا ستفعلين ببقية الأكواب!

أجفلت متفاجئة من قرب صوته، لقد كانت تدير ظهرها له ملتهية بتأمل جريمتها الكاملة!

كيفين لا يفشل أبدًا في الظهور للآخرين من العدم، لماذا يسير دومًا بهدوء هكذا؟!

بدت محرجة وهي تضع الكوب في الخزانة وتقول بينما هي تجمع بقية الأكواب في الكيس

- سوف أتخلص منها طبعًا

ثم استدارت إليه بعد أن حملت الكيس وقالت محدقة إلى وجهه بتوتر

- لن أطلب منك أن تكذب ولكن مالم يلاحظ ايلك، احفظ الأمر سرًا عنه

أرخى عينيه المرهقتين للكيس في يدها حين همهم بالموافقة قبل أن يأخذه منها ويخرج إلى الصالة عابرًا البهو نحو المصعد

كانت فترة الغداء قد انتهت ولهذا عاد اندرو منذ لحظات وبحث عنه في غرفة الصف فلم يجده، وحين خرج ليبحث عنه في الصالة رآه داخل المصعد فناداه بينما هو يسرع نحوه

- مهلًا كيفين، إلى أين؟

رفع الكيس بيده وقال ببرود

- سأضع اشيائي في السيارة وأعود

قطب اندرو دون أن يفهم ولكن باب المصعد كان قد أغلق ليأخذ كيفين إلى الأسفل قبل أن يتمكن من سؤاله

لقد مضت دقيقتين عليه بينما هو جالس في سيارته يتنهد كل لحظة، ظل يمسح على وجهه المقتضب مرارًا وتكرارًا دون فائدة تذكر

ظن بأن القليل من الوقت سيكفيه ليجمع شتات نفسه ولكن الصف سيبدأ على هذه الحال قبل أن يتمكن من العودة

وهنا اهتز هاتفه في جيبه ليدعوه إلى اخراجه

كان ايلك يتصل به، ألقى نظرة خاطفة على كيس الأكواب إلى جانبه فعبرت شفتيه بسمة خاطفة قبل أن يرفع الهاتف إلى أذنه ليأتيه ذلك الصوت الخالي من الهم

- أو واو! اعتقدت بأني لن أحصل على رد بما أني فوت وقت استراحة الغداء

- ورغم أنك تعلم ذلك إلا أنك اتصلت!

ضحك ايلك على قوله

- يجب أن تحاول على الأقل قبل أن تقرر الاستسلام، ما الذي تفعله؟

أجابه كيفين وهو يرفع كوبه الساخن ليرتشف منه

- أشرب كوبًا دافئًا من الشوكلاه

- همم

همهم ايلك بصوت منخفض ثم حل الصمت للحظة قبل أن يقول

- لقد عدتُ للتو من التسوق برفقة فرانك، اشترينا بدلات جديدة لأجل حفلة افتتاح فندق لويس اليوم، لا تتفاجأ حين تجدني ظاهرًا برفقته في أحدا الصحف فهو عارض مشهور

- أرى بأنك تحظى بالمرح هناك، لكن شكرًا لتحذيري على أي حال

ضحك ايلك على قوله ثم صمت مجددًا قبل أن يقول بصوت متردد

- في الحقيقة أنا بالفعل أحظى بالمرح ولكن، التفكير بأمر ايدين ظل يلازمني، وكأنه أحس بذلك، لقد أرسل لي هذا الصباح لأتصل به

اهتزت يد كيفين فأنزل الكوب ليتركه في الحامل في حين تابع ايلك

- كنتُ أخطط لتأجيل الأمر لوقت أطول، لكن بما أنه اتصل بي أولًا فأظن بأن صبره نفذ، التفكير بالأمر صار يضايقني ولستُ استمتع أبدًا في انتظار غضبه، سوف أنهي خططي

ثم سأخبره بقراري النهائي، أظن بأن الوقت قد حان لأتابع طريقي

- هل صرتَ مستعدًا لتقابله؟

- لا، لكني سأقابله مع ذلك

ابتسم كيفين ثم قال متنهدًا

- حسنًا، سأطلب منك معروفًا، أيمكنك أن تتصل بي بعد لقائك به مباشرة لتخبرني بقرارك؟ أشعر بأن مرحلة الانتظار هذه باتت تثقل كاهلي

صمت ايلك للحظة، ثم قال بصوت فشل في جعله مرحًا

- كما هو متوقع من العجوز كيفين

ابتسم كيفين لذلك الصوت ثم تنهد بعمق وقال

- يجب أن أعود إلى الصف الآن فالدرس بدأ منذ فترة

- أجل، أراك لاحقًا كيفين

..

ظل يحدق في الهاتف في يده شاردًا، لا يعرف ما الجدوى من اتصاله بكيفين بينما هو لا يملك خبرًا يريحه به، لكنه ظن بأنه قد يرتاح لو بدا له صوت كيفين أكثر حيوية

تنهد وهو يرفع رأسه محدقًا للحديقة عبر الزجاج، عليه فقط أن يثق باندرو ويركز على ما يمكنه فعله بدلًا من محاولات لا جدوى منها

استدار متابعًا طريقه ليصعد إلى الأعلى بينما هو يتصل على شخص ما، عبر الصالة العلوية بينما هو يضع هاتفه على أذنه ثم تحدث بينما هو يدخل إلى غرفته

- مرحبًا، هل وصلتك المستندات؟

. . .

كان يبدو مذهولًا جدًا وهو يتجول بفاه مفتوح بين حضور حفلة لويس، هناك الكثير من المشاهير هنا، مغنين وعارضي ازياء ومنتجين، حتى الكتاب منهم والمخرجين

لقد ميز العديد منهم ولم يكن يصدق عينيه كيف يراهم في الحقيقة وليس من خلف الشاشات!! وكان يوجين الذي يسير بجانبه مع فرانك يشعر بالحرج من شكله المشدوه

- هل يمكنك أن تتوقف عن التمتمة بعبارات الذهول؟ عليك أن تعطي أنتباهك لمظهرك العام

لكن ايلك اجابة مبهورًا دون أن يكف عن النظر حوله

- هذا جنون يا يوجين، أنظر بسرعة تلك هي الممثلة الصاعدة جيسكا نيوتن، مذهل

عرك يوجين جبينه متعبًا في حين قال فرانك

- آه ها هو لويس

نظر يوجين حيث نظر، كان لويس يقف هناك مع الفريد وشون وراينر ومايك يبتسم في وجه محدثيه بينما هو يصافح أحدهم

- لقد حضر الفريد!!

قالها يوجين مذهولًا فبدت الصدمة على فرانك حين انتبه لذلك، وفور أن وصلوا إليهم قال محدثًا لويس

- كيف أحضرتَ الكبير!

أجابه مايك مذهولًا

- حتى أنا صُدمت لرؤيته

نظر الجميع نحو الفريد، كان شديد الأناقة وشعره مسرح بعناية، يغمض عينيه بوقار بينما هو يستند على الحائط، لعله يحاول أن يتظاهر بأنه غير موجود وسط حفلة لا يريد حضورها!

نقل فرانك عينيه للويس وسأله مجددًا

- كيف أقنعته؟

نظر إليه لويس أخيرًا وابتسم بطلف شديد، ثم قال ببراءة

- الفريد لطيف جدًا، هو بالتأكيد سيحضر لأجلي، أليس كذلك الفريد؟

بدت ابتسامته مخيفة جدًا في هذه اللحظة، حتى ايلك أقشعر بسببها، رغم أن ابتسامته تلك كانت في غاية اللطافة، لكنها لطيفة بشكل خطير

هل لطف لويس أخطر مما ظن؟ بلا هذا ما يبدو، لعل عليه الحذر منه منذ الآن فالفريد لا يبدو كمن حضر هذا الحفلة بكامل رضاه، واضح بأنه قد تم جره جرًا!!

عاد ينظر للويس الذي ما زال يبتسم، صحيح بأنه طويل وممشوق القوام ولكنه لا شيء أمام ضخامة الفريد وفتل عضلاته

أراد أن يعرف كيف أرغمه على المجيء لكن التخيل جعله يشعر بالرعب فتراجع عن ذلك، ومن خلال رؤيته للآخرين كيف غيروا الموضوع، أدرك بأنهم هم أيضًا لم يرغبوا بمعرفة الطريقة

كان الحفل رائعًا وقد نسقه لويس بشكل مذهل، هناك فرقة راقصة وأخرى لألعاب خفة اليد، بدا على حضور لويس الرضى التام والبهجة تملأ الأجواء

كان هذا الجو كفيلًا لينسي ايلك ما يُشغل دماغه تمامًا، حتى أنه صار يصرخ مذهولًا مع الجمهور أثناء عرض ألعاب الخفة، ولم يمنع نفسه من الغناء خلف بعض الأغاني التي يحفظها حين بدأ عرض الفرقة الموسيقية

بل إنه كاد يرقص مع الفرقة الراقصة لو لم يوقفه يوجين.. لعل يوجين يشعر بالمسؤولية تجاه مظهره بسبب شبهه به، فهو يجعله يتخيل بأنه هو من يقوم بتلك الحركات المخزية

في نهاية الحفل وعلى أريكة رائعة خاصة التقط لويس العديد من الصور العفوية مع والديه وأعز اصدقائه، كان هذا هو الحدث الذي تحدث عنه، قال بأنه سيتم تعليق هذه الصور في ردهة فندقه الأول

لقد شعر ايلك بالسعادة تغمره حين القى نظرة على الصور التي تجمعه بهم قبل أن يتم أخذها.. مؤخرًا هو يملك هواية لالتقاط الصور مع من يحبهم.. لقد أحب الليلة.. أحبها بكل ما فيها

ولكن

بعد نهاية الحفل وتوديع لويس، وفي السيارة التي يقودها يوجين الذي كان يتحدث مع فرانك الجالس بجانبه عن بعض الحضور الذين يعرفونهم

كان هو يجلس في المقعد الخلفي، يحدق بفتور لرقم ايدين الذي ينتصف شاشة الهاتف بينما يهتز في يده

رفع يوجين عينيه لينظر لوجهه من خلال المرآه الأمامية ثم قال

- لقد وردتني رسالة من جيمس قبل لحظات، يقول بأن ايدين جاء لمنزلنا اليوم

اتسعت عيون ايلك وهو يندفع بجسده متقدمًا بين الكرسيين لينظر لوجه يوجين بينما هو يسأله

- ماذا قلت؟ أتعني بأنه في منزلنا الآن؟

ببرود أجاب يوجين

- تمامًا

- يبدو وأنه يريد رؤيتك

قالها فرانك مفكرًا ثم أجفل حين صاح ايلك بوجه أخيه

- توقف يا يوجين، أوقف السيارة حالًا

تسارعت ضربات قلبه حين تجاهله المعني وهو يأخذ المنعطف الأخير لحي منزلهم، وبدأ الفزع يطل من عينيه حين نظر عبر

النافذة فعرف أنهم اقتربوا كثيرًا من الحي، أمسك بتلابيب قميص يوجين وراح يرجوه موشك على البكاء

- أوقف السيارة يا يوجين أوقفها

لم يعد فرانك مسترخيًا ولا باردًا، كان يلتف الآن بجسده محدقًا لوجه ايلك الباكي قبل أن ينقل عينيه لوجه أخيه البارد ويقطب بغضب شديد ثم قال

- أوقف السيارة يا يوجين

قطب يوجين ونظر إليه مستنكرًا

الوقت يمر وهم يستمرون بالاقتراب أكثر نحو الحي، ايلك بدأ صوته يختنق ويدخل في مرحلة البكاء، ويوجين لا يُظهر أي نية في التوقف

عندها شتم فرانك وهو يعض على شفتيه رافعًا قدمه نحو جهة يوجين وداس على المكابح بكل ما أوتي من قوة للتوقف السيارة فجأة فترتد أجسادهم إلى الأمام بشدة جعلت رأس فرانك يصطدم بمقدمه السيارة

لكن لحسن الحظ كان الشارع الذي توقفوا فيه فرعيًا.. ولم يكن هناك أي سيارة في الأرجاء

تأوه فرانك وهو يرفع رأسه ثم نظر لأخيه وتمتم غاضبًا

- كان عليك أن تستمع لي

رفع يوجين رأسه عن المقود شاعرًا بالألم في جبينه، نظر لأخيه كاتمًا غضبه ثم أرخى عينيه لايلك الذي سقط بينهما بشكل أحمق، لكنه تراجع بسرعة إلى الخلف وهو يخفي وجهه عنهما

وضع يده على قلبه ليهدأ، لقد ظن بأنه سيموت! رفع رأسه إليهما فرآهما ينظران إليه مقطبين، لكن يوجين سرعان ما نقل عينيه لفرانك مستاءً

- أريد سببًا لفعلك المتهور

نظر فرانك إليه وأجابه

- لقد طلب منك أن تتوقف!

أشار يوجين نحو ايلك بإصبعه وهو يجيب على أخيه بامتعاض

- هذا الغبي كان يتجاهل اتصالات ايدين منذ اليوم، إنه يستمر بالهرب رغم أن ايدين أعطاه الكثير من الوقـ

- هذا لا يعطيك الحق في إرغامه على مقابلته

صمت يوجين ينظر إليه متحيرًا

- فرانك ما الخطب معك؟!

- يزعجني أن تضايقه هكذا، لديه خطط بترتيب يناسبه ولا أحد يملك الحق في التدخل بخططه حتى لو كان ايدين

قطب غير قادر على تفهم أخيه

- ما الذي تقوله؟

- إنك الآن تحذو سلوك جيمس بإجباره على التصرف وفق قناعاتك دون الاكتراث لقناعاته الخاصة

تفاجئ يوجين بقوله، وبدا ذلك واضح من خلال اتساع عينيه الزرقاوين، فسكت محدقًا في عيون أخيه المنزعجة وعقله يسترجع سلوكه تجاه ايلك قبل لحظات

يا له من منافق

نظر نحو ايلك فرآه ينكس رأسه في صورة جعلته يستقبح نفسه، أراد أن يقول شيئًا لكن ايلك تحرك وفتح الباب لينزل من السيارة

نظر الأخوين لبعضهما بتوتر ثم سرعان ما نزل يوجين لاحقًا بايلك الذي بدأ بقطع الشارع مبتعدًا

- مهلًا، ايلك، إلى أين ستذهب في هذا الوقت؟

توقف المعني عن السير واستدار إليه، اضطرب حين رأى شحوب وجهه فمكث يحدق له حتى أجابه بصوت جاف

- سأرتب بعض الأمور وأعود للمنزل

ولم يمهله حين استدار واختفى في ظلام الطريق

عاد يوجين إلى السيارة وعلى وجهه مسحة من قلق، سأله فرانك ما إن استوى في مقعده

- ماذا قال؟

- سيرتب أموره ثم يعود للمنزل

ثم زفر وهو يعرك جبينه

- آه تبًا، هل سيكون بخير؟

. . .

مضى زمن طويل لم يبكي فيه بهذا القدر، وجهه صار ملتهبًا وعينيه احمرت بشكل مريع

شعره تبعثر فوق جبينه وبدلته الجديدة تجعدت أثر تقلبه فوق العشب في البقعة الأكثر ظلمًا داخل أعمق نقطة من المتاهة العشبية التي تتوسط الحديقة

لقد اختار مكانًا لا يقصده أحد في مثل هذه الساعة المتأخرة، فهو أراد أن يبكي بأعلى صوته ليخرج كل ما في قلبه من تراكمات

هذه الليلة هي ليلة تحرر دموعه لتسلم وداعها الأخير لحياته الحالية، ليلة حداده على الكثير من المشاعر الحلوة والكثير من العادات التي يوشك على تغييرها بملء ارادته

ليلة خوفه من نتائج قراره، من تراصف المجهول في مستقبله، من تفاوت الاجابات وتباين ردود الفعل التي يوشك على تلقيها، ومن تلك الأهم والأعز التي أزفت ساعة التخلي عنها

إنها ليلة مواجهته لذاته، لرغباته التي أجل انجازها، لحاجات نفسه التي أدبر عنها، ولوعوده التي تأخر في إيفاءها

كان عليه أن يرثي الكثير، لذا طالت فترة حداده، ومضت عليه الساعتين وهو في مكانه، وحين أشار عقرب الساعة إلى الثانية بعد منتصف الليل، نهض ايلك جالسًا وهو يمرر يده على صفحة وجهه ذهابًا ثم ايابًا، أخذ أنفاسًا طويلة تصاعد منها البخار قبل أن يستعيد وتيرة تنفسه الطبيعية ثم يخرج هاتفه من جيب معطفه الطويل ويتصل بيوجين

سرعان ما وصله الرد

- ايلك

- يوجين، هل ايقظتك من نومك؟

- لا

- أيمكنك أن تأخذني الآن لأدنبره؟

قبض الصمت خيط الحديث، وأبطأت المفاجئة اجابة يوجين قبل أن تأتيه بصوته الهادئ

- لايدين؟

- لمركز الشرطة

عادت المفاجئة لتلجمه ولكنه هذه المرة كان أسرع حين أجاب

- أين ألقاك؟

ما إن أغلق ايلك الهاتف حتى قام في وهن ليخرج من المتاهة متجهًا لآلة المشروبات في مقدمة الحديقة، أشترى منها قنينة ماء غسل بها وجهه وسقى حنجرته الجافة لعله يستعيد صفاء صوته

وصل يوجين في وقت قياسي، وانطلق في سرعة متوسطة باتجاه ادنبره بينما هو يلقي نظرة على ايلك كل لحظة

- ما الذي تخطط لفعله؟

كان يملك فكرة عامة حول ما يفكر فيه ايلك، ولكنه أراد أن يجعله يتحدث

رفع ايلك رأسه عن النافذة وأداره لينظر إليه بعيون هادئة، شعر بالراحة حين بدا له في حال مستقرة فقد ظن بأنه سيجد عيونه مترددة

- سأقابل جدي، لدي موضوع معه، كما أنني أرغب برؤية جين

أطال يوجين التحديق لعينيه دون أن يقول شيئًا، فشعر ايلك بالحرج وأشاح محاولًا اخفاء وجهه، يبدو وأن قنينة الماء عجزت أمام حجم خزيه

كان المطر قد بدأ يهطل حين قطعت سيارة يوجين شوارع غلاسيكو لتدخل في الخط السريع، ظل ايلك يراقب تناثر الماء حول عجلة السيارة الأمامية شاردًا بذهنه حتى استرعت انتباهه مكالمة يوجين مع راينر وهو يخبره بأن فرانك ينتظره في الصين فسأله ايلك ما إن أنهى مكالمته

- ألم يعد فرانك إلى المنزل؟ لماذا ذهب للصين؟ هل اشتعلت الغوريلا باللهب؟

ظهرت بسمة صغيرة على وجه يوجين حين أجابه

- هل تتوقع أن ننجو بحياتنا لو عدنا إلى المنزل لنخبر جيمس بأنك هربت منا خوفًا من لقاء ايدين!

طرف ايلك بعينيه محتارًا فالتفت إليه يوجين وقال

- أخبرته بأن حفلة لويس قد تطول إلى الفجر

قطب ايلك ونكس رأسه ليقول معتذرًا

- لم تتمكنا من العودة للمنزل بسببي، آسف لهذا

- عليك أن تكون مستعدًا لتنال عقاب الغوريلا

رفع ايلك رأسه وحدق له مفكرًا

- أتظنه سيمنعني لو أخبرته؟

- أجل

- يجب أن يعلم لكن ليس الآن

- بما أنك فكرت بلقائه فهل تبدد خوفك منه تمامًا؟

نظر إليه ايلك متفاجئًا من السؤال لكنه سرعان ما أرخى عينيه وأجاب

- لا

التفت إليه مستنكرً اجابته فنظر إليه ايلك وقال مبتسمًا

- أريد لقائه لأجل ذلك، أنا لا اخطط للبقاء خائفًا منه إلى الأبد فهذا ليس ممتعًا كما تعلم

- مما أنت خائف بالضبط؟ إنه معدوم الحيلة ولا يملك أي عقاقير بيده

- إنه خوف مرتبط بطفولتي، لا يمكنك أن تفهم ما لم تمر بنفس التجربة

قال يوجين وشخص يخطر في باله

- يمكنني فهم الأمر بطريقة ما

- حقًا؟

- كان فرانك يعاني من نفس المشكلة أمام عيني منذ سنوات

بقي ايلك يحدق إليه مهتمًا ثم ابتسم

. .

- لقد أوشكنا على الوصول

انتشله صوت يوجين من عمق أفكاره، فرفع عينيه عن سواره ونظر عبر النافذة لذلك المبنى الضخم الذي لاح له ثم أخذ نفسًا عميقًا وقال

- الحمد لله، جدي لا يزال هنا

توقف يوجين في مرآب السيارات ثم نزل بعد أن التقط المظلة من الكرسي الخلفي، دار حول السيارة ليصل لبابه ثم وقف منتظرًا منه النزول لكن ايلك ظل يحدق له مشدوهًا دون أن يتحرك، فتح يوجين الباب وقال له مقطبًا

- ماذا تنتظر؟ لا أملك سوا واحدة فادخل هيا

كان يقصد المظلة، ولكن جمود ايلك لم يكن لهذا السبب، كان متفاجئًا من نية يوجين في مرافقته، ظن بأنه سينتظره في السيارة

تحرك ليترجل عن مقعده فاقترب يوجين ليظله تحت المظلة قبل أن يبلله المطر، أغلق باب السيارة ثم سارا نحو بوابة المركز

- اتصل بجدك لنتمكن من الدخول دون عراقيل، ملابسنا ملفتة للنظر

آه بالفعل، هم لا يزالون بملابس الحفلة!

تقدم للجزء المسقوف من المبنى واغلق المظلة ليتركها جانبًا ريثما يرتب هندامه الأنيق مراقبًا ايلك الذي انشغل في مراسلة جده ليخبره أنه قادم إليه خلال دقائق، اعاد هاتفه إلى جيبه والتفت متنبهًا لنظرات يوجين، ابتسم بسمة متوترة وقال

- هل ندخل؟

كان ايلك يحفظ المكان عن ظهر غيب، قطع الممرات بثقة تامة حتى أوصلهم إلى مصعد في نهاية الرواق، وما إن صارا بداخله حتى سأله

- هل كنتَ تأتي كثيرًا إلى هنا؟

ظهرت بسمة حزينة على وجهه حين أجاب

- نعم، وكان هذا يغضب ايدين كثيرًا

عندما خرجا من المصعد كان ذلك الرجل بانتظارهم، وكان ذلك شعورًا غريبًا، لعلها كانت لحظة قصيرة من الصمت، لكن ايلك أحسها دهرًا يحدق فيه لتلك العيون العميقة فلا يجد غير السواد القاتم

لم يتغير شيء فيه، كان كما عهده منذ سنوات طفولته المرة، شعره حالك السواد وعيونه الداكنة الباردة، وذلك التعبير الثابت في ملامحه، لم يسبق أن رأى عليه تعبيرًا غير الهدوء الأزلي

بلا.. لم يتغير شيء فيه.. ولكنه ببساطة.. لم يعد مخيفًا

- لقد طُلب مني أن أرشدك فرافقني من هنا رجاءً

صوته الذي عرفه منذ طفولته لم يتغير، صوته العملي الذي كان يزرع الخوف في نفسه لم يتغير، لم يتغير لكنه لم يعد مخيفًا

أومأ له ايلك وسار خلفه في هدوء، وحين وصلوا لباب آخر الرواق قال يوجين محدثًا إياه

- سوف أنتظرك هنا

أومأ له موافقًا ثم نظر نحو مرافقهم الذي طرق الباب مستأذنًا باحترام

- لقد حضر السيد ايلك يا سيدي

ثم فتح الباب بعد أن سمع الإذن فدخل ايلك من خلفه وتقدمه نحو جده الجالس خلف مكتبه في رأس الغرفة

- لم أتوقع زيارة مفاجأة كهذه!

قالها بنبرته الساخرة المعروفة، فرفع ايلك كتفيه واكتفى بالابتسام

- يمكنك الخروج يا لاو

قالها السيد اندرسون محدثًا تابعه الذي سرعان ما حنى رأسه احترامًا ثم خرج، عاد ايلك ينظر نحو جده حين حدثه

- لا أظن بأنها مجرد زيارة عادية، تبدو كما لو أنك لا تريد لايدين أن يعلم بمجيئك إلى هنا!

- لا أمانع في الحقيقة، ولكن ليس قبل أن أفعل ما جئتُ لأجله

كان وجهه جادًا بقدر التمسه جده فأشار بيده إلى تلك الأرائك الجلدية أمام مكتبه وقال وهو يقف

- دعنا نجلس ونفهم بالضبط ما تريده

جلسا على الارائك متقابلين فتحدث ايلك دون تمهل

- لقد جئتُ لأطلب منك السماح لي برؤية ذلك الرجل

ضاق جبينه قبل أن يسأله مشككًا

- ذلك الرجل؟ تقصد جين؟

أومأ ايلك ببطء فتراجع السيد اندرسون مستندًا على ظهر الأريكة

- ما الذي تسعى إليه من مقابلته؟ لا أعتقد بأنها خطوة تحتاجها في حياتك

بدا الرفض جليًا في وجهه من خلال تلك العقدة الشديدة الظاهرة بين حاجبيه، هو عرف بأنه بحاجة لإقناعه وجاء على أساس ذلك، ولكنه لم يعرف كيف يشكل أجابته من خلال الكلمات

كيف يشرح له كل تلك الأفكار التي تراوده حين يمر من خلال ذكرياته كل يوم، ويحصد منها ما يحصده، ثم يأتي إلى الصور فلا يجد من صور جين غير ذلك الجبروت الهائل؟

ظل يحدق في وجه جده صامتًا إلى حين انتهى بابتسامة يائسة

- سيكون هذا مفيدًا لي، يمكنك أن تسميه غذاء لنفسي

ما كان هذا كافيًا ليقنعه، فهو غير راغب في وضعه بهذا الموقف بينما هو يعرف بأن قلبه لن يستعد أبدًا لمواجهة كهذه

- لستَ بحاجة لفعل ذلك لأجل أن تستمر يا ايلك، لقد فعلت بالفعل ما يكفي، ألم يرضيك هذا؟

زم ايلك شفتيه بعدم رضى ونكس عينيه مقطبًا بشده فتابع السيد اندرسون قائلًا

- لستَ بحاجة لتضيع وقتك في مقابلة كائن ينتمي لعالم آخر عن عالمك وأنتَ الذي لن تخرج من ذلك بفائدة تذكر!

اشتدت قبضه ايلك فوق ركبته وفتح فمه المشدود لينطق دون أن يرفع رأسه

- أنا.. أنا بحاجة لرؤيته بتلك الصورة يا جدي، مهانًا خلف قضبان في زنزانة متعفنة، محطمًا ولا يملك أي أمل، لم أكن قادرًا على تخيل صورته بهذا الشكل مهما حاولت، يجب أن أرى ذلك

تراخت ملامح السيد اندرسون، وتراجع ذلك الرفض الشديد في عينيه، وظل يتأمل وجه ايلك المنكوس طويلًا، طويلًا حتى سبر غوره ثم قال متنهدًا

- لقد فهمت

. .

قلبه كان يخفق بشدة منذ وصلوا إلى المعتقل، لم تكن خفقاته سريعة بل متباطئة كمن توشك على التوقف، لقد كان يعلم بأنه سيشعر بهذا الزلزال يهز كيانه في هذه اللحظة لكنه عجز أن يستعد له

رفع يده ببطء ليحل ربطة عنقه قليلًا في اللحظة التي توقف فيها السيد اندرسون أمام باب زنزانة يحرسها رجلان بهيئة ضخمة، ثم التفت ليسأله

- أنت مستعد؟

- لا، ولكني لن أدخل أبدًا لو ظللت أنتظر استعدادي

ثم تقدم بخطى واسعة متجاوزًا جده ليفتح ذلك الباب كما لو أن هدوء العالم كله يسكنه، لو أن جده لم يكن يعرفه جيدًا لأقسم بأن ذرة من الخوف لا تسكنه الآن، كان متفاجئًا من قدرته على الحركة رغم حجم الخوف الذي يسكن قلبه، لو كان كما كان سابقًا لما تمكن من الحركة بمجرد أن اقترب بقدر يسمح له بسماع حركة ذلك الرجل داخل هذه الغرفة

ابتسم في استحسان ثم التفت نحو يوجين وحدثه بود

- سأكون في المكتب القريب لو احجتماني

رد له يوجين ابتسامة متكلفة

- أشكر لك تعاونك معنا رغم انشغالك

رفع السيد اندرسون حاجبيه في تقدير ثم استأذن بعد أن أمر الحارسان أن يسمحا لايلك بخمس دقائق لا تزيد

- حاضر سيدي

نطقاها معًا وهما يضربان له التحية في حين استدار هو مغادرًا بينما تلاحقه عيون يوجين الزرقاء، عاد ينظر للحارسين ثم ابتسم لهما عابثًا فبان له توترهما قبل أن يدخل كاتمًا ضحكته

- أنت ما تزال حيًا! هل أخذت الجرعة المكملة؟

سمع ذلك الصوت الرجولي ينطق بها فوجد نفسه يسرع بخطواته حتى بان له ذلك الواقف مقابلًا لمن دمر حياته عبر باب الزنزانة الداخلي، يقف كمن يملك ثقة العالم كله

كانت عينيه وقد أظلمت زرقتها تحدقان مباشرة لذلك الرجل الواقف بكل جبروته كما لو أنه يقف في قصره لا في زنزانة بالية

- وأنت ما تزال قادرًا على رسم ابتسامة كتلك بعد أن حولت العديد من الأبرياء لغرباء لم يسمع العالم عنهم شيئًا قبل أن يموتوا بأبشع طريقه

كانت عيونه من خلف نظاراته الطبية تلمع لهفة واعجابًا بتلك العينة الناجحة لدراساته التي كرس حياته في سبيلها، وجود هذا الطفل حيًا حتى هذا اليوم يثبت نجاح ما سعى إليه طوال عشرون سنة مضت لم يشعر خلالها بالراحة أبدًا

وها هي راحته تأتي على شكل هذا الصبي الواقف أمامه ينطق جسده بالجمال وبهذا الشكل المثالي الذي طالما طمح للوصول إليه

انفلتت من بين شفتيه ضحكة خافته حين رفع يمناه ليضغط بها على شفتيه محدقًا بعيونه المتلهفة نحو ايلك ثم نطق بعد صمت طويل

- من كان يصدق بأن مجدي سيتمثل في أول عينة فاشلة ألقتيها دون علم مني.. كانت خسارة

اشتدت قبضة ايلك.. كان يعض على نواجذه بشدة لكبح شتيمة أرادها أن تصطدم بوجه هذا المجرم.. ولكنه ظل هادئًا حتى استعاد رباطة جأشه ثم قال بكلمات كالفحيح

- عينه؟ تلك التي تسميها عينات هي أرواح هتكت بها أنت وجماعتك، ما الذي أنت فخور لأجله؟

حافظ جين على صمته متأملًا ذلك الوجه الأبيض الذي رسم بسمة هازئة حين تقدم إليه ليقف أمامه مباشرة لا يفصله عنه سوا باب الزنزانة

- أنظر جيدًا يا عزيزي وأخبرني، أين هي عينتك الآن؟ هل لاحظت ذلك أم تريد مساعدتي لتلاحظ؟ لقد فعلتَ بي ما أنا عليه الآن، ثم أصبحتَ كتلة نفاية وسط زنزانة لا تملك شيئًا غير الحسرة، وهل ترى ما أنا عليه الآن؟ لدي كل شيء لا تملكه، حتى العائلة التي ظننت أنك سلبتها مني! أتعلم، لقد كنتُ قادرًا دائمًا على ايجادك أينما كنتَ لكن الخوف كان يمنعني، لقد كنتُ وحدي القادر على ايجادك ولربما كنتَ لتكون متعفنًا في هذه الزنزانة منذ أمد بعيد لو أنني تركتُ خوفي ورغبتُ بذلك، لقد أعطيتني شيئًا لا يمكن لأحد أن يملكه

مال إلى الأمام ممسكًا بقضيب الزنزانة ثم همس محدقًا إليه بعيون مشتعلة تبرق بوعيد

- دراساتك ومجدك الذي تظنه، كله ذهب أدراج الرياح حين أشعلتُ أنا النار فيها، اكتشافاتك التي ظننتَ بأنك ستغير العالم بها مُسحت من وجه الأرض وكنتُ أنا خلف ذلك، والآن ماذا؟ هل ستحاول الهرب لتبدأ من جديد؟ فكرة جيدة ولكنك لن تجد مخبأ يأويك عني، لو هربت لآخر طرف من العالم فستجد أذناي صوتك، لو اختبأت في أظلم بقعة من العالم فستجد عيناي أثرك، لو قطعتَ قدميك وشوهت ملامح

وجهك وعشت تحت أقدام الشفقة فسيجد أنفي رائحتك، لن تعيش أبدًا في سلام ما دام ايلك حيًا على وجه هذه الأرض

ثم استقام واقفًا وراقب كيف تحطم كل الجبروت وتهالك ذلك الرعب الذي عاش يلاحقه، ظل يتأمل فوزه الأول على ذاته من خلال ذلك الحقد المحتدم في عيون الطاغية خلف نظاراته الطبية

إنها المرة الأولى في حياته

كانت المرة الأولى التي ينظر فيها ذلك الرجل إليه بشكل صحيح

ليس كمن ينظر لدمية تجاربه

ليس كمن ينظر إليه كعينة لا مشاعر لها

بل كإنسان يملك ذات

استدار على عقبيه ليغادر المكان، ولكنه توقف حين نطق الطاغية

- عليك أن تبقى حيًا، يجب أن تبقى حيًا

نظر إليه من فوق كتفه، لتلك العيون التي تنظر إليه من خلف النظارات بإعجاب شديد

ظل ايلك ينظر إليه ببرود خارجي، ثم تابع طريقه بروية

وما إن وطأت قدميه خارج باب الزنزانة حتى تهالكت الأرض من أسفله، وتهاوى جسده بين يدي يوجين

لم يكن وعيه يسمح له بفهم ما يحدث حوله، كانت أصوات العالم بعيدة جدًا خلف أنفاسه العالية، ودموعه غشت عينيه بكرم عجز معه عن رؤية ما حوله

ولكنه مع هذا أحس بيدي يوجين تربتان على جسده المرتعد، ثم سرعان ما ارتفع من فوق الأرض منكمشًا بين يدين ضخمتين ليُترك فوق مقعد بارد

- تنفس بهدوء يا فتى، تنفس وستكون بخير

كان الصوت لأحد الحارسين، بعيدًا جدًا ولكنه يسمعه، أخذ يتنفس ويتنفس وهو يرفع رأسه متخبطًا في ألمه حين أحس بيد يوجين على أسفل وجهه وهو يقرب له كأس الماء

- أشرب الماء، ايلك، ستكون بخير، ستكون بخير

فعل ما أمره به ثم عاد يلاحق أنفاسه ويبكي، كان البكاء متعبًا ومؤلمًا وأراد أن يتوقف ولكنه عجز

شهق الهواء حين أحس بالماء البارد على وجهه، وتسارعت انفاسه وهو يحدق مشدوهًا لوجه يوجين الذي ظهر له يعتليه القلق بينما هو يستمر بمسح وجهه بالماء البارد

ابتسم يوجين حين وجد الأدراك في عينيه الملتحمة بعينيه، مد يديه وغطا بها أذنيه ثم حرك شفتيه وقال دون أن تختفي مسحة القلق من وجهه المبتسم

- لا تصغي لصوته يا ايلك، لقد كنتَ رائعًا هناك، سيكون كل شيء على ما يرام، هل تسمعني؟

تساقطت الدموع من عينيه حين تأوه وهو يومئ برأسه

- أنا آسف

كان يوجين يتعمد الاقتراب منه بقدر يجعله لا يرى من حوله شيئًا سواه في محاولة لعزله عن خوفه، ابتسم له وقال دون أن يبعد يديه عن أذنيه

- كان عليك أن ترى مظهرك المخجل بينما أنت محمول بين يدي ذلك الحارس كالأميرة، ماذا فعلت بنفسك

كانت أنفاس ايلك تهدأ بشكل ملحوظ ولكن بطيء، وكلما حاول أرخاء وجهه أو أشاح بعينيه كان يوجين يعيد توجيه انتباهه إليه دون أن يرخي يديه عن أذنيه

- عليك أن تبقي طاقتك لمواجهة الغوريلا، لعله ينتظرنا في المنزل محاطًا باللهب، أستطيع تخيله الآن جالسًا بانتظارنا في الصالة يهز قدمه بعصبية وعقله يرتب لنا العقوبات

كان يحاول صرف تفكيره بوصفه الدقيق لمنظر جيمس محاولًا جذب خياله، وقد نجح بذلك حين تأوه ايلك مقطبًا فارتخت اعصابه المشدودة وارتاح قلقه، رفع ايلك يديه ليضعهما على ساعديه وهو يغمض عينيه متنفسًا بعمق، وراقبه يوجين بحرص قبل أن يقرر أن يرخي يديه ببطء عن أذنيه وهو يسأله في نفس الوقت ليجعله ينتبه لصوته هو

- أتشعر بالعطش؟ هناك ماء متبقي

هز ايلك رأسه وفتح عينيه محدقًا له ليقول

- أظن بأننا لن نعود قبل الفجر

ضحك يوجين وقال وهو ينحني إليه ليساعده على الوقوف

- من الجيد أنك مدرك لذلك، هيا فالتقف صلبًا ولنغادر هذا المكان

استطاع ايلك أن يقف لوحده، ورغم أنه بدا مرهقًا بشكل يجعل من يراه يتوقع سقوطه مغشيًا عليه في أي لحظة، إلا أنه نظر بهدوء نحوه وسأله

- ما زال لدي ما أود قوله لجدي، أيمكنك أن تنتظرني؟

لم يبدو على يوجين بأنه ارتاح لفكرة أن يتركه لوحده في مثل حالته الآن

- لن انتظر طويلًا

أومأ ايلك مبتسمًا بامتنان ثم تحرك متتبعًا صوت جده

حين وصل كان السيد اندرسون لا يزال يتحدث مع رجلين داخل مكتب صغير مما دعاه ليستند على الجدار خارج الغرفة منتظرًا والعديد من الأفكار تدور في ذهنه

لقد فكر طويلًا قبل أن يتخذ القرار، ولقد أتخذه منذ زمن لكنه أجله طويلًا، ذلك القرار الذي من شأنه أن يجعله راضيًا عن نفسه

أفاق من شروده على خروج الرجلان من المكتب الصغير، نظرا إليه باستغراب قبل أن يقترب منه أحدهم ليسأله

- ماذا يفعل صبي مثلك في هذا المكان؟

صوته العالي دعا السيد اندرسون للخروج من المكتب ليستطلع الوضع، نظر لوجه ايلك صامتًا للحظة قبل أن يوجه حديثه للرجلين

- يمكنكما الانصراف

سرعان ما غادر الاثنان بينما عاد السيد اندرسون لداخل المكتب وهو يقول

- سيغضب ايدين حين يعرف بأنك تجولت هنا مظهرًا وجهك دون حذر

لحق به ايلك لداخل المكتب وتقدم بعد أن أغلق الباب ليجلس على أحد الكراسي أمام طاولة المكتب الصغير محدقًا لجده الذي سأله ما إن جلس

- قل ما لديك

- أريدك أن تساندني يا جدي في تحقيق ما أريده حتى لو كان الأمر صعبًا، ايدين سوف يعترض لذلك أريدك أن تقنعه أيضًا

تدفقت هذه الكلمات بسرعة من فم ايلك بينما هو يحدق بعيون الراجية نحو جده.. والذي ظل ينظر إليه بهدوء قبل أن يسأله

- هل تريدني أن أعطيك موافقتي قبل أن تخبرني ما هو طلبك؟

أومأ ايلك بجدية فرفع السيد اندرسون أحد حاجبيه مستنكرًا وظل ينظر في وجه ايلك الجاد قبل أن يتنهد

- لا بأس، لنقل بأني أعطيتك موافقتي

تنهد ايلك مرتاحًا ثم نظر في وجه جده وقال

- أعرف بأن كثير من الأسرى الذين تم انقاذهم من أنياب المنظمة هم إما ايتام أو فقراء لا قدرة لهم على تحمل تكاليف العلاج النفسي الذي هم بحاجة إليه، أريد أن أتكفل بمصروفات علاجهم كاملة، وأريد أيضًا أن أقدم التعازي

لأهالي من مات من ضحايا العقار، أرغب أن تساعدني في جلب المعلومات عنهم وسوف اتحدث إليهم بنفسي

قطب السيد اندرسون حين قال

- إن كان هذا ما تريده فكل ما عليك أن تطلبه مني وسوف أتكفل بذلك، لا حاجة لك أن تتصل بهم

هز ايلك رأسه وقال منفعلًا

- لا أبدًا، أود أن أتكفل بكل شيء بنفسي، أحب أن أقابل الضحايا وعائلاتهم واشتاق كثيرًا للتحدث معهم، أرجوك أن توافق، لقد قلتَ بأنك اعطيتني الموافقة؟

قال جملته الأخيرة في محاولة منه للضغط على جده، ولكن الأخير لم يبدو مقتنعًا، كان يحدق في وجهه المرهق مقطبًا والصمت يهيمن فوقهم، وأخيرًا قال بعد صمت

- ما تطلبه عقيم يا ايلك، أنت تستمر بالتعلق في ذكريات تؤلمك معتقدًا بأن هذا سيخفف من تأنيب ضميرك لك، ولكنك يجب أن تفتح عينيك جيدًا لترى نهاية هذا

شحب وجه ايلك لتلك الجدية التي علت وجه جده الذي لم يبدو وأنه قال كل ما لديه

- أتعتقد بأن الضحايا سيرغبون بلقاء من يذكرهم بتجربة فضيعة يسعون لنسيانها؟ ما عليكم فعله هو السعي لتخطي تلك الذكرى لا لإعادة احياءها من جديد

ارتخت شدة صوته حين نكس ايلك وجهه عاضًا على شفتيه وعيونه تلتمع منذرة للبكاء

- لا تكن عدو نفسك يا ايلك، وأتركها ترتاح

أومأ ايلك رأسه المنكوس دون أن ينطق، فعرك السيد اندرسون جبينه وهو يتأمل ذلك الوجه الحزين ثم تنهد قائلًا

- سوف أسمح لك بالتكفل بعلاج الضحايا، وسأطلعك بنتائج التقدم، ولكن فقط إلى هذا الحد، هل يرضيك هذا؟

رفع يده ليمسح عينيه مزفرًا بعمق ثم نظر لجده وقال بصوت يرتعش

- أنا آسف، كان تفكيري أحمق، ولكن اليكس

- اليكس؟

سأله السيد اندرسون حين توقف عن الحديث، فعاد ايلك يأخذ نفسًا عميقًا وتابع

- قابلتُ فتى في ذلك المنزل الذي يجلبون إليه الضحايا في لندن، يدعى اليكس وقد طلب مني التحدث ببعض الشؤون حوله مع عائلته، أيمكنك أن تسمح لي بذلك فقط؟ إنه حتمًا لأجله، لا أفكار غبية في عقلي

ابتسم جده ضاحكًا ثم قال

- لا بأس، سوف أبحث لك عنه ولكنك ستقابلهم تحت اشرافي، هذا شرطي ولن أتنازل عنه

انفرجت أسارير ايلك وابتسم مسرورًا قبل أن يقول بصوت الرضى

- شكرًا جزيلًا لك، سوف أنتظر مكالمتك بفارغ الصبر

رافقه السيد اندرسون حتى بوابة الخروج التي كان يوجين يقف أمامها منتظرًا، شكراه الأثنان قبل أن يفارقهم عائدًا إلى الداخل، ثم فتح يوجين المظلة ليسرع ايلك إلى جانبه قبل أن يتوجها إلى السيارة

نام ايلك طوال طريق العودة إلى المنزل، فقد كان يشعر كما لو أن حملًا ثقيلًا انزاح عن كاهليه بعد محادثته مع جده

لعله في قرارة نفسه لم يكن يريد مقابلة أهالي الضحايا، إنما كان ذلك إحساسه بالواجب تجاه أشباهه الذين ماتوا جميعهم عداه

كانت نفسه ترغب بالتحرر، هو يريد أن ينسى كل ما مر فيه من ألم ومعاناة، أن ينسى بأنه كان يمكن أن يصبح ذلك المسخ، أن ينسى بأنه نجى بمعجزه

ولكنه كالعادة لم ينتبه لذلك، اعتاد أن يفكر بالجميع تاركًا ذاته في آخر القائمة لهذا كان من الصعب عليه أن يدرك رغبته الحقيقة

كان حقًا وبكل غباء، عدوًا لنفسه

. .

كانا الآن أمام باب المنزل وكان يوجين يسند رأسه إلى يده نافذ الصبر بينما يحدق نحو ايلك الذي يرتجف بجانبه، أجل لقد وصلا

منذ نصف ساعة وما زالا داخل السيارة حتى الآن، وذلك لأن جيمس لم يكن قد خلد للنوم بعد كما ظنا رغم أن الساعة تشير للخامسة فجرًا

- لقد كنتَ شجاعًا هناك أمام أكبر رعب في حياتك، ما الذي حدث؟

قالها ساخرًا فنظر إليه ايلك متوترًا وقال بصوت منزعج

- إننا نتحدث عن الغوريلا الآن، ماذا نفعل لابد وأنها تشتعل باللهب!

تنهد يوجين بصبر نافذ

- من الذي أرسل رسالة له قبل ذلك يخبره بكل ثقة بالمصيبة التي فعلها

- بالطبع سأخبره فسيعلم يومًا ما، أن نخبره أفضل من أن يعلم من ايدين

تململ في جلسته ثم ابتلع ريقه وأردف وهو يسترق النظر إلى المنزل

- فقط لم لم ينم ويفكر بمعاقبتنا في الغد؟

- ماذا يفعل الآن؟

- أنه في الصالة الجانبية يتحدث مع جيرارد، آه حتى فرانك معهم!!

قال جملته الأخيرة متفاجئًا فابتسم يوجين فجأة وقال

- هذا جيد

ثم نزل من السيارة فشهق ايلك برعب ونزل بسرعة ليلحق به

- ماذا تفعل؟ أنتظر ما الذي تفكر فيه؟

أجابه يوجين دون أن يتوقف

- هو لن يصبح شرسًا أمام فرانك لذا من الأفضل أن ندخل الآن

توقف ايلك مصدومًا وهو يستوعب ما قاله ثم لحقه بسرعة

كان الجميع يجلسون في الصالة الجانبية وكأن اليوم لا يزال في منتصفه! وكان يوجين الذي يسير بكل ثقة أمام ايلك يتوجه مباشرة إلى هناك رغم أنهم كانوا قادرين على الصعود فورًا دون الاضطرار لمقابلة جيمس

رغم كل شيء ما زال ايلك خائفًا من مقابلته، هو أبدًا لن يحتمل عقابًا آخر، لو عاقبه بعدم الخروج من المنزل مجددًا فسيجن حتمًا

ولكن لم يعد هناك فرصة للتراجع فها هو يوجين يقف أمام الباب وها هي عيون جيمس مسلطة عليه

- لقد عدنا

قال ايلك ذلك وهو يبتسم محاولًا الظهور بشكل مرح، لكن جيمس لم يكن يحدق إليه بل ما زالت عيونه الغاضبة تنظر نحو يوجين الذي بادله نظرة هادئة

- هل لك أن تفسر أفعالك؟

قالها جيمس محدثًا يوجين بنبرة جامدة فابتسم ذاك الأخير بتعب وقال

- لم تكن لتسمح لي

نظر ايلك متوترًا لابتسامة يوجين المتعبة متوقعًا أن يثور جيمس بسبب بروده ولكنه قطب حين بدت صدمة طفيفة في عيني يوجين المسلطة على أخيه الأكبر ما جعل ايلك يلتفت محدقًا لما أثار صدمته فصدم هو الآخر!

كان الغضب في عيون جيمس قد اختفى وكانت هناك بسمة غامضة تزين وجهه الوسيم بدت وكأنها خرجت رغمًا عن رغبته في اخفائها

- لا أعلم حقًا متى ستكبر أنت وأخوك، تستمران في إثارة اعصابي حتى النهاية

لقد كانت كلماته المعهودة التي يصيح بها بنبرته الغورلية تلك، ولكنها بدت مختلفة اليوم، لم يكن جيمس ينظر ليوجين وهو يقولها بل كان يحدق شاردًا في فنجانه بينما لا تزال تلك الابتسامة تزين وجهه دون أن يدرك وجودها

أخيرًا بعد أن تجاوز ايلك صدمته نظر مقطبًا نحو جيرارد فكان هو الآخر يبدو مستغربًا من أخيه! وكان فرانك يحدق ببروده المعتاد نحو جيمس لكنه هذه المرة أطال تحديقه

عاد ايلك ينظر نحو يوجين فكانت ملامحه قد استعادت هدوئها بينما عينيه تنتقل بين وجوه الحاضرين مقيمة الوضع الغير متوقع، تحرك ليجلس على الاريكة المقابلة لجيمس فتبعة ايلك ليجلس بجانبه محدقًا حوله

وحين وقعت عينيه على جيمس تفاجئ به يحدق إليه بوجه جامد لا يمكن قراءته، توتر قليلًا قبل أن يقول

- أنا أعتذر لعدم أخذ الإذن منك ولكني لم أكن لأتراجع

- لا بأس سوف تعاقب كما يجب!

قالها جيمس وهو يرتشف من فنجانه فنظر إليه ايلك متوترًا وحين انتبه جيمس على توتره رمقه بخبث مما وتره أكثر!!

إن الوضع مريب، مهما نظر للأمر فهو مريب، لم جيمس لم يصرخ! حتى تلك العيون الغاضبة اختفت! لا بل لم تكن هناك أي غوريلا حتى!!

- هل قابلتَ ايدين؟

سأله جيمس بينما ينظر في عينيه مباشرة فنظر إليه ايلك وسرعان ما بدا عليه التوتر خوفًا من انقلاب مزاجه

- أوه لا.. ظننتُ أن ايدين هنا؟ ألم يكن؟

والتفت نحو يوجين مهددًا.. هل كذب عليه؟

- لقد كان هنا.. لكنه غادر منذ ساعات حين لم تأتي!

قال جيمس ذلك بصوت يلفه التهديد فابتسم ايلك بتوتر ومال نحو فرانك يهمس له

- لم عدت إلى هنا؟

نظر إليه فرانك ببرود ثم قال

- اتصل جيمس براينر وسأله عني.. بدا مزاجه جيدًا فقررتُ العودة

- إذن ايلك

نظر ايلك لوجه جيمس الجامد والذي تابع

- هل سار كل شيء على ما يرام؟

أومأ ايلك مبتسمًا فبدت مسحة من الراحة في عيون جيمس استطاع يوجين ملاحظتها، ظل ايلك يراقب وجه جيمس الهادئ مترددًا في قول ما يريده، ولكنه قرر بأنه لا يريد تأجيل الأمر أكثر

وقف ليلفت انتباه الجميع.. ثم تحرك ليقف في رأس الصالة وقال

- أنا.. لقد اتخذتُ قراري

(٧٦)

|| وصار الطير حرًا ||

جاء صباح الغد مثلجًا كما هو معتاد من طقس اسكوتلندا في هذه الفترة من العام

ركام السحب السوداء هذه تنذر عن يوم ثلجي عاصف.. فقط يأمل ألا تبدأ العاصفة قبل المساء ليعود الطلاب لمنازلهم سالمين

كان هذا ما يدور في ذهن جيمس بينما هو يلقي نظرة عابرة نحو السماء من خلال زجاج النافذة من مكانه حيث يقف أمام المرآة بينما يعقد ربطة عنقه

مر بذهنه حديث ايلك ليلة البارحة فظهرت عقدة بين حاجبيه تشي بحجم توتره تجاه قراره الذي لا يملكون أي فكرة عنه بعد

من المفترض أن يخبرهم هذا الصباح بعد تناول الفطور، ولهذا بالضبط هم بانتظار ضيف مميز قادم اليوم ليتناول الفطور معهم

نكس عينيه شاردًا وصورة لوجه ايلك ليلة البارحة تمر في ذهنه، لقد كان وجهه متفائل جدًا ولم يبدو عليه أي تردد، يريحه أنه أخيرًا تمكن من رؤية ما يريد ولكنه يظل غير قادر على الراحة تجاه..

ثم تنهد بعمق.. وقرر أن يتوقف عن التفكير.. تحرك بخطى ثابته نحو الباب ليخرج ونزل إلى الأسفل باتجاه الصالة الجانبية

عندما دخل رفع الجميع أعينهم نحوه، لقد كان الجميع هنا باستثناء ايلك، أقترب وهو يلقي التحية ثم ينحني ليقبل كف والدته بينما يبتسم لابنه ري الذي ركض إليه ما إن استوى جالسًا على الأريكة

عادة هم لا يجتمعون هنا قبل الفطور ولكن اليوم خاصة تجمعوا باكرًا من أجل الضيف القادم

مسح على شعر أبنه ثم رفع عينيه نحو عيون يوجين الذي كان يرمقه بعيونه التي تدرس كل شيء دائمًا، كان يوجين يظهر اللامبالاة كعادته بينما يبدو الخمول على فرانك الذي لم يكن يريد الاستيقاظ باكرا شاتمًا ايلك الذي اضطره لذلك.. رغم أن أيلك لم يطلب منه!!

كان جيرارد يتعمد التحدث مع والدته دون انقطاع ليمنعها من التفكير حين بدت له متوترة نحو قرار ايلك.. رغم أنه لم يكن أقل منها قلقًا

- هل استيقظ ايلك؟

سألهم جميس بصوت هادئ فأجابه يوجين قائلًا

- إنه يجلس في الحديقة منذ ساعة

رفع جيمس عينيه لأخيه مقطبًا

- ماذا يفعل في الحديقة في هذا الجو البارد

- لقد قال بأنه يرتدي ثلاث طبقات من الثياب تحت معطفه حين سألته ذلك

قال جيرارد ذلك مبتسمًا باستسلام فتنهد جيمس وهو يهز رأسه بينما قالت الأم مبتسمة بقلق

- آمل ألا يلتقط بردًا

نظر جيمس إليها بهدوء ثم نكس عينيه لابنه في حضنه وشرد.. في هذه اللحظة دخلت الخادمة لتقول باحترام

- لقد وصلت سيارة السيد اندرسون يا سيدي

كانت تحدث جيمس لكن الجميع كانوا ينظرون إليها

- يمكنك المغادرة

قال جيمس ذلك دون النظر إليها فظلت واقفة في مكانها تحدق له باستغراب.. من المفترض أن يطلب منها سياقة الضيف إلى الصالة لكنه لم يطلب منها ذلك

تجاهلها جيمس لكن جيرارد ابتسم إليها وقال

- لا بأس يمكنك المغادرة

فاقت لنفسها وانحنت باحترام ثم غادرت بسرعة بينما نظر جيرارد لجيمس الذي لم يزل يمسح على شعر ري شاردًا

. .

كان يجلس في حديقة المنزل على الأرض الباردة متربعًا في الجزء الأيسر من البوابة، يحمل في يمناه عودًا خشبيًا يرسم به على الثلج بملل

ايدين لم يكن يتكلم أبدًا لذا لم يسمع أي صوت له، لقد شعر بالخيبة لذلك، لكنه بدأ يسمع صوت هدير محرك لسيارة سلكت الشارع الفرعي المؤدي إلى المنزل فابتسم

- ها هو قد وصل أخيرًا

وماهي إلا لحظات ودخلت سيارة ايدين حدود منزل ايلسون، وقد كان ايدين يقودها بنفسه حين أوقفها في مرآب المنزل بجانب سيارة جيمس وترجل منها ملتفتًا حيث يجلس ايلك وهناك عقدة بين حاجبيه

يبدو وأنه انتبه إليه اثناء مروره منه قبل قليل ولكنه مشكك فيما رآه

ابتسم إليه ايلك فعبس ايدين في وجهه ذلك دعاه ليضحك فهو بالطبع عرف ما دعا ايدين للعبوس

- ماذا تفعل بجلوسك هنا في هذا الجو البارد؟

سأله ذلك بينما هو يغلق باب السيارة ثم يستدير بجسده إليه بينما هو يشد ياقة معطفه الأسود الطويل إليه ناشدًا الدفء فابتسم إليه ايلك بمرح وقال

- كنتُ انتظرك

استرخت تعابير ايدين وهو يرمق عيون ايلك المبتهجة، لقد قال ذلك بصوت مختنق

تحرك من مكانه عائدًا حيث ايلك ووقف أمامه مباشرة لكن ايلك لم يرفع رأسه إليه

لقد اشتاق كثيرًا لهذا الوجه الصافي ولتلك البسمة المعدية.. وبالطبع يدرك بأن ايلك مثله تمامًا ولذلك عرف بأنه الآن يقاوم دموعه

جلس ايدين متربعًا على الأرض أمامه.. ثم ابتسم لتلك العيون الزرقاء حين رمقته بتردد

- لم أنت خائف من النظر في عيني؟

سأله ذلك مبتسمًا فقال ايلك بانزعاج

- لقد نسيتُ كيف تبدو عيون ايدين لذا تبدو لي مخيفة الان

- هل تحاول اغضابي؟ إن كنتَ تحاول ذلك فدعني أخبرك بأنك فشلت

ضحك ايلك دون أن ينظر لعينيه فابتسم ايدين مستسلمًا

- من غير اللائق أن نتأخر عن جدتك وأعمامك كما تعلم!

- لا بأس، إنهم يعرفون بأنني أنتظرك هنا

صمت ايدين ومضت دقيقة من الهدوء التام إلى حين سأل بصوت هامس

- كيف كانت مقابلتك لجين؟

انتفضت يد ايلك قليلًا ورآها ايدين.. رغم ذلك لم يرفع عينيه إليه بعد

- لقد كان مخيفًا في البداية ولكن الأمور سارت بخير

- لماذا أردتَ أن تراه؟

- من أجل أن أحقق كل ما سبق وطلبته مني

- ماذا تعني؟

- لطالما طلبت مني أن أتخلص من خوفي ألم تفعل؟ كان هذا هو الشيء الوحيد الذي لم أفعله، فكرت بأن جبروته الذي يظهر دائمًا في عقلي سيتحطم حين أراه سجينًا بلا أي قوه

- وهل حدث ذلك؟

- لا، كان لا يزال بجبروته حتى من خلف قضبان الزنزانة

- ولكنك تحدثت إليه كما يجب ألم تفعل؟

ظل ايلك صامتًا لفترة.. ثم قال هامسًا

- ذلك بسببك

- ماذا تعني؟

- لقد سبق وتحدثت إليه حين كنتُ بأسرهم

صمت ايدين محدقًا لوجهه المنكوس في حين تابع هو مختنقًا

- حينما أدركت بأنك ستكون في خطر.. كان الحديث والنظر إليه أسخف بكثير مما ظننته.. تلك اللحظة كان في عيوني مجرد أنسان لا يملك نصف قدراتي

ابتسم ايدين في حين تساقطت دموع ايلك بينما هو يتابع بصوت متهدج

- أنت تعلم ايدين، لم أكن أريد أن أخبرك خشية أن تغضب مني ولكني أصبحتُ شاكرًا جدًا لكل أمر سيء حدث لي في الماضي وجعلني ما أنا عليه.. فأنا.. لو لم أقع بيد ذلك المجرم.. لم أكن لألتقيك أبدًا.. حين تخيلتُ الماضي بشكل جميل.. حين فكرتُ لو أنني كنت مجرد طفل ولد بين أحضان والديه وبأنني لم أعرفك أبدًا، ضاق بي الخيال وشعرت بالاختناق ولم أحب ذلك أبدًا

رفع يديه إلى عينيه وأخذ يشهق متذكرًا كيف ظلت تلك الفكرة تتردد لباله بينما هو يحاول اتخاذ قراره.. كان مجرد تخيل الأمر يجعله يجهش بكاء

- أنا سعيد جدًا لأني مررت بكل تلك المعاناة لألتقي بك ايدين.. شاكر لجدي كثيرًا لأنه لم يبعدك عني.. لهذا.. لا تتخلى عني يا ايدين.. أرجوك لا تفعل

وأجهش يبكي في مكانه دون أن يفهم بالضبط ما يبكيه، أهي تخيلاته التي لا تمد للواقع بصله؟ أهو قراره الذي اتخذه؟ أم هو اشتياقه الشديد لايدين؟

لم يدري ايلك ما السبب.. غير أنه يخنقه كثيرًا.. يبكيه كثيرًا.. ويجعله مشوشًا هكذا

كان يعلم بأن قراره سيهتز حين يرى ايدين.. لكن مشاعره دون هوادة جلبت إليه الماضي والحاضر، والمهم والتافه، والواقع والخيال فتركته يتخبط في مكانه لا يملك سوى الرثاء على شيء لم يفقده أصلًا!

شعر بضربة مفاجأة آلمت رأسه فانكمشت تعابير وجهه وهو يرفع عينيه أخيرًا محدقًا لوجه ايدين.. لقد كان حانقًا للغاية!

- ما تفعل بحق الله ايلك؟ تتخيل أمورًا لم تحصل ثم تبكي عليها؟ ماذا تحاول أن تجعلني؟ أبكي معك دون أن أفهم السبب؟ إن كنت تحاول ذلك فدعني أخبرك بأنك على وشك أن تنجح

طرف ايلك بعيونه الدامعة مندهشًا.. لقد كان وجه ايدين حزينًا بالفعل! ذلك جعله يضحك دون أن يفهم في حين تنحنح ايدين وهو يقول مقطبًا

- تطلب مني ألا أتخلى عنك؟ وكأنني أستطيع

ثم تنهد بعمق وهو يمسح بيمينه على صفحة وجهه متعبًا

- لستَ تعلم كيف أعيش كالميت في هذه الفترة التعيسة بينما أنت تركض وتلهو في الأرجاء كيفما تشاء، تتقاتل مع غرباء وتحضر الحفلات وتقابل مجرمًا دون أن أمر في ذهنك لحظة

- ماذا؟ دون أن تمر في ذهني لحظة؟ لقد كنتَ في ذهني طوال الوقت

حملق فيه ايدين قائلًا بصوت خرج من عمق حنجرته

- بلا، لقد كنتَ تشتمني في ذهنك وتضع اللوم كله على رأسي بينما تمشي في الأرجاء وتشتكي مني للآخرين!

ألجمه بما قال فصمت ينظر إليه برعب

- لـ.. لقد.. أنتَ السبب في ذلك!! ما كان عليك تركي دون أن تقول شيئًا

ظل ايدين يحملق فيه بينما تسترخي تعابيره شيئًا فشيئًا لتظهر بسمة غريبة على شفتيه قبل أن يقهقه فجأة ويقول

- تبدو جميلًا بهذا الشعر يا ايلك

طرف المعني لعدم استيعابه تغييره للموضع فجأة

- هل صار شعرك ينمو بالمعدل الطبيعي للبشر؟

ابتسم ايلك سعيدًا وقال

- أجل، لم أعد بحاجة لقصه كل يوم

همهم ايدين وهو يومئ برأسه

- أخيرًا سترتاح

ثم قام لينفض الثلج عن ثيابه قائلًا

- لقد تأخرنا يا ايلك، هيا انهض

وقف ايلك مترددًا فساعده ايدين في نفض ملابسه ثم استدار ليسبقه إلى المنزل لكن ايلك أوقفه حين تشبث فجأة بملابسه من الخلف هاتفًا بخوف

- مهلًا

توقف ايدين في عدم رغبة والتفت محدقًا لوجه ايلك المنكوس.. ولتلك الدمعة السجينة في مقلته.. ثم لتلك اليد المرتجفة متعلقة بطرف معطفه

عاد ينظر بهدوء لوجه ايلك ثم تنهد بعمق وهو يدنو إليه ليعانقه ويعتصره بشدة بين ذراعيه لدرجة أوجعته

- تبًا، تجعلني أبصم على خروجي من هذا المنزل محملًا بالخيبة قبل أن أدخله حتى

تسارعت نبضات قلبه حين همس بها ايدين بصوت واهن ثم ابتعد عنه مظهرًا وجهًا مليء بالحسرة ففاجئه

- دعنا ندخل يا ايلك

قالها بتعب ثم حث خطاه إلى المنزل فلم يوقفه هذه المرة

. . .

كان الصمت ثقيل فوق مائدة الفطور التي شاركهم فيها ايدين، لم يكن يخدشه سوى صوت قرع الأواني بينما يتناول الجميع طعامهم دون شهية حقيقية

كان ايلك يشعر بنظرات الجميع وهي تُرمى عليه كل فينة وأخرى، لكنه كان يتظاهر بعدم الانتباه لها بينما هو يفتت البيضة بالسكين حتى صار صحنه فوضويًا

وكان ايدين الجالس إلى جانبه الأيمن يراقب فعلته تلك وعقدة غير راضية برزت بين حاجبيه

- أين آداب تناول الطعام يا ايلك؟

همس بها بين أسنانه فوصلت سريعًا لمسامع ايلك لترسم بسمة متوترة على وجهه قبل أن يحمل الشوكة ويتناول هريس البيض ذلك مسرعًا

كان ايدين ينظر إليه حين ذاك، بدا نادمًا على تأنيبه، لقد حمل كأس العصير ووضعه إلى جانب يد ايلك الذي سرعان ما فهم الرسالة وحمل الكأس ليشرب منه فورًا

أثناء ذلك كان هناك زوج من العيون الزرقاء تراقب الموقف بسخرية

بعد الوجبة جلس الجميع في الصالة الجانبية المطلة على الحديقة يحتسون القهوة منتظرين ايلك ليعلن قراره، وكان صاحب القرار الذي لا أحد يعلم أين هو قد تأخر

- يوجين لقد كنتَ آخر من أنظم إلينا، هل رأيت ايلك في مكان ما؟

سأله جيمس قلقًا وخوفه أن يكون ايلك قد غلبه التوتر فهرب من المنزل! وكان فرانك يحدق نحو أخيه الأكبر ببرود قبل أن ينقل عينيه نحو يوجين الذي أجاب ببسمة ساخرة

- لقد رأيته يتحدث لشخص ما عبر الهاتف، اتهمني بالتنصت عليه وطردني

أخفى ايدين بسمته بقبضته بينما علق فرانك بصوت بارد

- انظروا من يتهم بالتنصت! إنه أكبر متنصت هنا

نظر إليه يوجين ساخرًا وقال

- هذا ما قلته له

دخل ايلك في هذه اللحظة وهو يعتذر لجعلهم ينتظرون، ولم ينسى أن يرشق فرانك بنظرة حادة قبل أن يجلس في رأس الصالة مبتسمًا وعيونه تلمع بسعادة

كان ايدين يراقب تلك الورقة بين يديه مسندًا ذقنه إلى ظهر يده بينما يجلس على تلك الأريكة المنفردة واضعًا قدمًا فوق الأخرى

- والآن يا بني، هل ستخبرنا بالقرار الذي اتخذته؟

سألته السيدة ميشيل مبتسمة فنظر إليها ايلك وقال مبتسمًا بثقة

- بالتأكيد

راقبت عيون ايدين الرمادية يد ايلك حين أخفى الورقة خلف ظهره قبل أن يريحها فوق ركبتيه، ثم ارتفعت عيونه لوجه ايلك الجاد حين أرخى عينيه مستجمعًا أفكاره قبل أن يقول

- آه حسنًا، في الواقع لا أعرف كيف أبدأ الأمر، لقد فكرتُ كثيرًا بشأن قراري وكنتُ أظن بأنني لا أجد إجابتي بينما هي كانت دومًا أمامي، الواقع بأني كنتُ دومًا أعرف ما أريد لكنني لم أعرف كيف اتخذ القرار بشأنه

ابتسم ايدين حين ظهرت بسمة جميلة على وجه ايلك الذي تابع مسترجعًا صورة من الماضي

- لكن جدي أخبرني بأنني فقط بحاجة للتفكير بشأن نفسي وحسب، وحين فعلتُ ذلك وجدتُ الإجابة أسهل بكثير مما ظننت

توقف قليلًا عن الحديث وبدت عليه الحيرة حين قال

- إن كانت الخيارات العديدة حيرتي فلم بالضبط علي الاختيار؟

فتح الجميع أعينهم ونظروا إليه باستنكار، لم يبدو على أي واحد منهم بأنه فهم شيئًا في حين استطرد ايلك وهو ينقل عينيه بينهم

- أنا أريدكم، أريد الجميع، لا أريد أن أترك أي عالم ورائي، أنا أريد ايدين، أريد عائلتي، و

صمت قليلًا ثم التفت نحو ايدين الذي كان يحدق إليه مقطبًا وتابع

- وأريد أصدقائي

كان قلب ايدين ينبض بشكل رهيب، يحدق لتلك الثقة النابعة من عيون ايلك وهي تقابل عينيه مباشرة

- لذلك أنا.. أريد أن أتخرج مع أصدقائي يا ايدين

ظل ايلك يحدق إليه بتلك العيون الواثقة ووجهه يحمل عارضٌ بسيط من بوادر البكاء

تنهد ايدين بصمت وكانت أعصابه المشدودة ترتخي أثناء ذلك ببطء حين فتح فمه وسأله ليؤكد له

- تريد التخرج مع أصدقائك؟

- نعم

جاءت إجابة ايلك سريعة، ثم استدار بجذعه وأخرج الورقة من خلفه وعرضها على الطاولة أمام الجميع

انتقلت العيون كلها لتسقط على تلك الورقة قبل أن يحملها جيمس ليقرأ محتوها فيبتسم مستسلمًا

كانت نموذجًا معبأ للتقديم على المدرسة باسم ايلك دوغلاس.. موقعة باسم الأستاذ ادورد

راقب ايلك بصمت تلك الورقة وهي تنتقل من يد جيمس ليد ايدين الذي أدرك مباشرة بأن هذا ما دفعه ليتأخر عنهم قبل قليل

رفع عينيه لايلك الذي كان ينتظر رده بصبر نافذ

- هل كنتَ تتحدث مع الأستاذ ادورد قبل قليل؟

- نعم

- هل هذا ما جعلك متوترًا هذا الصباح؟

- نعم، لقد تأخر الأستاذ ادورد في إرسالها

- منذ متى كنت تعمل على هذا؟

- منذ أدركتُ السبب الذي جعلك تتركني هنا

إجابة ايلك صدمت الجميع، وبان ذلك واضحًا في تعابير وجوههم، إن كان قد بدأ العمل عليها منذ ذلك الوقت فهذا يعني بأنه كان قد أتخذ قراره منذ مدة طويلة! لا، بل هذا يعني بأنه لم يتردد بالاختيار قيد أنملة، لم يفكر بالأمر حتى

- لماذا تأخرت إذن؟

لم يكن ايدين مدركًا بالقدر الذي اعتلت فيه مشاعره لتظهر جلية على وجهه المحتدم غضبًا بينما هو يحدق نحو ايلك منتظرًا منه إجابة على سؤاله

كان جيمس والسيدة ميشيل يحدقان بتوتر نحو ايدين حين بدا لهما وكأنه سيفقد السيطرة على نفسه في أي لحظة

حتى فرانك لم يبدو مرتاحًا بينما هو يراقب ايدين بوجه حذر

أما يوجين وجيرارد فقد كانا يحدقان بهدوء نحو ايلك، راقبا كيف كان يحارب عبرة سرعان ما خسر أمامها وذرف الدموع على وجنتيه.. كان يطبق بشدة على فمه ليمنع صوته من الخروج

ورغم أن تعابير وجه ايدين الغاضبة ارتخت قليلًا إلا أنه بدا متضايقًا لبكاء ايلك.. لهذا عاد يسأل بصوت قاسي

- لماذا تأخرت؟

- أهدئ من فضلك يا ايدين

قالها جيرارد بنبرة لينه، وحين نظر إليه المعني منزعجًا قال يذكره

- أرجوك تذكر بأنه قرار صعب عليه

تراجع ايدين قليلًا أمام أدب جيرارد وتنهد بينما يشيح بوجهه عن ايلك عاركًا جبينه.. فجاءه صوته المرتجف حين نطق

- لقد.. كنتُ خائفًا.. من أن يتخلى الجميع عني

زفر ايدين بغضب وغمغم بين أسنانه

- أي ظن أحمق

استفزت كلماته ايلك فوقف من مكانه وصاح محدقًا إليه من بين دموعه

- وكيف لي أن أعرف؟ كيف لي أن أعرف؟ لماذا تظن بأن هذا سهل علي؟ الجميع عاشوا جزء من عمرهم من دوني وليس من الصعب عليهم أن يستمروا بذلك، لكنني مختلف، أنا لا أستطيع العيش من دونك، لا أستطيع العيش من دونكم

صمت يستدرك أنفاسه ومسح دموعه بسرعة ليعود محدقًا في ايدين، لم يكن ايدين يحدق إليه، كان يشيح بعينيه بعيدًا والضيق واضح في وجهه، ما جعل العبرة تكاد تخنق ايلك حين صرخ في وجهه

- أنظر إلي يا ايدين

آآه تبًا.. إنه يعرف بأنه يتصرف بغير نضج.. وكله بسبب خيبته الشديدة حاليًا.. لا يعرف كيف يعبر عن بؤسه بغير الغضب

تبًا لك، أفق لنفسك ايدين لقد كنت تعرف بأن ايلك سيختار لندن

قال ذلك لنفسه.. ثم التفت محدقًا لذلك الوجه العزيز الباكي.. لا تزال عيونه تلمع بالثقة رغم كل ذلك

- هذا صحيح ايدين، أنا أخاف من أن أختار واحدًا فيتخلى البقية عني، لهذا قررت

أشار على نفسه وقال

- أنا سأختار لندن

ثم أشار بأصبعه على الجميع وقال

- وأنتم جميعًا سوف تختاروني

اتسعت أعين الجميع وهم يحدقون إليه محاولين استيعاب ما قاله، مضت لحظة من الغباء قبل أن يضع جيرارد يده على فمه ويشيح بوجهه ليضحك بشدة كاتمًا صوته بينما أخذ جيمس يعرك جبينه

متورطًا بردة الفعل المناسبة، ظل يوجين وفرانك يحدقان إليه في حين اتسعت بسمة السيدة ميشيل حين أجابته بثقة مطلقة

- بالطبع سنختارك حبيبي، وهل نملك من هو أغلى منك؟

نظر ايلك إليها وقال صادمًا الجميع بسلوكه

- حقًا؟ ستختارينني جدتي؟

ابتسمت إليه بثقة وأومأت برأسها وقالت

- نعم، فأنت لن تبقى في لندن إلى الأبد أليس كذلك؟

ظل ايلك يحدق إليها مسحورًا، بدت له وكأنها الوحيدة التي فهمته في هذه الغرفة، عينيها كانت تخبره بأنها تثق به، وجد نفسه يهدأ من البكاء في راحة عينيها.. قبل أن يومئ مؤكدًا على كلامها

- نعم، أنا أريد التخرج مع أصدقائي

شعر بيد ايدين تقبض على ذراعه وتسحبه ليجلس في مكانه على الأريكة، نظر إليه مقطبًا فوجده يحدق له باهتمام قبل أن يسأله بوجه جاد مخيف

- وماهي خطتك التالية؟

بقي ايلك صامتًا للحظة يتأمل ذلك الاهتمام الفائض من تلك العيون الرمادية.. وسرعان ما غمرته الراحة وأجاب بصوت مختنق

- سوف أدرس الطب في جامعة غلاسيكو، سوف أعود إلى هنا

صمت قليلًا حين أومأ له ايدين يحثه على المتابعة، ثم أكمل وصوته يختنق شيئًا فشيئًا

- لا، حتى قبل أن أتخرج من الثانوية، أود قضاء إجازة رأس السنة مع عائلتي، أود أن أزورك أسبوعيًا مثلما يفعل مادلين وهاكون، أود أن احتفل معك بنجاحي في كل سنة، وحين أشعر بالإرهاق من الدراسة سأقرر تخطي الصفوف لأبيتَ هنا ولن يتفاجأ أي أحد حين أنظم للجميع في وجبة الصباح، أو ربما يكون خالي جيمس غاضبًا ذلك اليوم فأهرب منه لأختار الأكل إلى جانبك من يد كبير الطباخين، ولعلي قررتُ زيارة اصدقائي في لندن تلك العطلة فأظهر

على باب كيفين في الصباح الباكر مثل شيء قد اعتاد عليه، هكذا يصبح وجودي بينكم مثل أكثر شيء طبيعي في العالم

أجهش ايلك بالبكاء لدرجة لم يتمكن بعدها من المتابعة.. ومضى ينتحب بصوت مؤلم بينما هو يخفي عينيه عن الجميع خلف يده

انتفض يوجين حين انتبه لوالدته تحاول الوقوف عن كرسيها فأسرع يحملها إلى جانب ايلك لتأخذه في أحضانها ما إن استوت على الأريكة بجانب حفيدها الغالي

ومضت تمسح على شعره وتربت على ظهره ثم رفعت وجهه بين يديها لتحدق في عينيه الباكيتين وتقول مختنقة بدموعها

- حبيبي ايلك، وجودك الطبيعي بيننا هو أكثر ما يتمناه الجميع، هي ليستَ رغبتك وحدك، منزلي دومًا سيكون منزلك، مهما حدث ومهما تأخرتَ في العودة، سيكون دومًا مفتوحًا لك

أراحه كم بدت له صادقه، أسعدته كثيرًا حين رأى كل شيء فيها يرحب به، أراد أن يشكرها ولكن كل ما استطاع فعله هو أن عاد يدفن وجهه في احضانها لتتلقاه هي بكل الحنان الذي حرم منه طول تلك السنين الفائتة

هدأ ايلك بعد لحظات وتوقف عن البكاء، فكان أول شيء فعله هو أن نظر لايدين

- ايلك

التفت المعني لخاله فارتجف قليلًا حين بدا جيمس مخيفًا وهو يحدق له بغضب طفيف

- لن أسامحك إن عدتَ لهذا الموضوع مجددًا، سوف أعتبر هذا الأمر سلوكًا محظورًا وستعاقب على العودة إليه اعتبارًا من اليوم، نحن نحب وجودك بيننا ولو لم يكن الأمر كذلك لم نكن لنسعا لإحضارك إلى هنا متحدين كل الصعاب في المقام الأول، لهذا عليك أن تتوقف عن التفكير بسخافة هكذا، هل فهمت؟

أومأ ايلك خائفًا ونكس وجهه وهو يقول في أدب

- حاضر

ضحك جيرارد قليلًا ثم قال محدقًا بلطف لابن اخته

- ما يقصده جيمس هو أن الجميع هنا يحبك، لذا ما هو أهم من أن تبادلنا الشعور هو أن تثق بحقيقة محبتنا لك، وإلا فلن يكون لشعورنا أي معنى، صحيح؟

ثم ابتسم بلطف أكثر فلم يكن من ايلك سوى أن ابتسم ممتنًا والسعادة تقذفه إلى السماء.. ثم بجشع نقل عينيه ليوجين وأخذ يرمقه بعيون جائعة تلتمع بانتظار

رفع يوجين أحد حاجبيه وسأله مستنكرًا

- لا تقل لي بأنك تريد أن أخبرك أنا أيضًا؟ هل تريد الموت؟

بدت الخيبة على ايلك حين قال متعمدًا التدلل

- ولكنك دومًا تبدو لي أكثر شخص لا يحبني

بدا يوجين متقززًا من تدلل ايلك وكان يريد أن يلقي عليه شتيمة ليُعرض عنه ولكنه لم يكن يستطيع فعل ذلك أمام ايدين!

- لو كنتُ لا أحبك كما بدا لك لما صبرتُ يومًا واحد على العيش معك في هذا المنزل فاطمئن

ضحك جيرارد وأخذ فرانك يرمق أخيه مطولًا بينما بدا الحنق على ايلك وغمغم مقلبًا عينيه

- يا لها من طريقة مراوغة

ثم نقل عينيه لفرانك وابتسم منتظرًا، كان فرانك يحدق ليوجين ولكنه نظر لايلك حين أحس بنظراته وما إن انتبه لتلك الابتسامة في وجهه حتى قال بأبرد تعابير وجهه

- أنا أحبك كثيرًا ولا أتصور الحياة من دونك

شعر ايلك بأن كل الدفء الذي في الغرفة تبخر من برودة صوت ذلك المعتوه القادم من العصر الحجري، ولكنه استجمع كل القوة في وجهه ليعتصره راسمًا بسمة صفراء قال بها

- أستطيع الشعور بذلك الحب بمجرد أن أنظر لوجهك

اخذ الجميع يضحك بعد قوله في حين ينظر جيمس لوجه فرانك وهو يبتسم بغرابة، قال جيرارد معلقًا بضحك

- إنها المرة الأولى التي أشهد فيها اعترافًا لفرانك، لقد تأثر قلبي

نظر إليه فرانك عابسًا ولكنه لم يقل شيئًا إنما نقل عينيه نحو ايلك الذي كان ينظر لجيرارد مبتسمًا، لكنه سرعان ما نكس عينيه قليلًا قبل أن يلتفت محدقًا لايدين

كان ايدين ينظر إليه بدون تعبير، ظل هو يحدق إليه طويلًا.. حتى مالت ابتسامة ايدين لتلك النظرة وقال متسائلًا

- هل لديك شيء تريد قوله؟

قطب ايلك قليلًا فضحك ايدين، ثم اعتدل في جلسته وانحنى ليسكب فنجانًا من القهوة مده إليه ثم قال آمرًا

- اشرب

نفذ ايلك طلبه ثم تنهد بعمق وأرخى الفنجان على الطاولة ثم عاد يحدق لايدين الذي كان يراقبه

- هل هي لذيذة؟

- نعم

كان صوت ايلك قد صار مبحوحًا لكثرة بكاءه، ذلك دفع ايدين ليضحك قليلًا، قطب ايلك وسأله منزعجًا

- لماذا تستمر بالضحك؟

- وهل لديك مشكلة؟

- لم تخبرني برأيك؟

- وما الذي تريده برأيي، هل سيغير شيء بقرارك؟

- لا، سوف أحاول أقناعك حتى تقتنع

ابتسم ايدين مجددًا، كان يحب كثيرًا تلك النظرة الواثقة الجديدة عليه في عيون ايلك، وكان مستمتعًا بمراقبة كيف اكتمل نضج شخصيته، ألم يكن هذا حلمه الميت؟ ها قد ظهر له حيًا بكامل روعته

- لكنك قلت لي ذلك اليوم

انتبه ايدين من شروده حين نطق ايلك متابعًا بينما هو يركز عينيه المقنعتين عليه

- لقد قلت بأنك سوف تدعمني أيًا كان قراري

ابتسم ايدين قليلًا.. لكن ابتسامته تلك سرعان ما اتسعت أكثر فأكثر حتى تحولت لضحكة قصيرة قبل أن يحدق إليه ثم يومئ برأسه قائلًا برضى

- تمامًا، هذه هي اجابتي

أراد البكاء، ولكنه بصعوبة منع نفسه، وتحرك ليحمل تلك الورقة ويمدها لايدين قائلًا

- إذن، هل ستوقعها لأجلي؟

أخذها ايدين ثم نظر نحو الخانة الوحيدة الفارغة في الورقة، ومن دون تردد أخرج قلمه ووقع عليها ثم أعادها لايلك وقال

- اتوقع نتائج مرتفعة

ضحك ايلك وهو يأخذ الورقة منه ثم ينظر لتوقيع ايدين الأنيق في خانة موافقة ولي الأمر فترقص الابتسامة على وجهه

- ولكن

رفع ايلك رأسه محدقًا لايدين حين قال ذلك بينما هو يسند ذقنه ليده التي يسندها إلي يد الأريكة بينما يحدق إليه رفعًا أحد حاجبيه

- ألن تطلب مني الموافقة على مجيئك وخروجك من المنزل كيفما تشاء؟

رفع ايلك أنفه بثقة وقال

- لقد سبق وأعطاني جدي الموافقة

رفع ايدين رأسه باهتمام وقال

- جدي فعل؟

أومأ ايلك وتابع بسعادة واضحة

- في يوم حفلتي، لقد أخبرني بذلك قبل أن أخبره بقراري، أعتقد بأنه كان يعرف ما أريده

ثم أضاف بغرور

- لهذا لستُ بحاجة إلى أذنك

ضحك ايدين على بهجته ثم وقف وهو ينحني لينثر شعره قبل أن يرفع عينيه لجميس ثم يقول

- المعذرة، لقد أخرتكم عن العمل بما يكفي

وقف جيمس وهو يجيبه مبتسمًا

- إن لم نتأخر في مثل هذا اليوم فمتى سنفعل؟

ضحك ايدين ثم نظر نحو السيدة ميشيل وقال

- شكرًا لحسن ضيافتك سيدة ميشيل، كان الطعام في غاية اللذة

ابتسمت لمجاملته وقالت

- لا أظن بأن أحدًا تمكن من هضم طعامه بشكل جيد اليوم، سوف أنتظر زيارتك القادمة في مناسبة أسعد بفارغ الصبر يا بني

كان يوجين قد صار إلى جانبها الآن يساعدها في الوقوف ليعيدها إلى الكرسي فهو يعلم بأنها بحاجة إلى الراحة وهي التي لم تذق طعم النوم ليلة البارحة

. .

انتشل اندرو الكتاب من يد كيفين وهو يكرر بنبرة مزعجة

- لا تكن سخيفًا، دعنا نحظى ببعض المرح بربك، لقد ألقيتُ نظرة من خلال زجاج الردهة ولم يكن الحرم مكتظًا، أقسم

- أعد الكتاب يا اندرو

قالها وهو يمد يديه بغيظ يكتمه لكن اندرو تعمد رفع يده عاليًا وهو يقول

- لما لا تلقي نظرة للتأكد بنفسك؟ دعنا ننزل وكفاك عنادًا

زفر كيفين محاولًا كبت غضبه وقال مستاءً دون أن يرخي يده

- بالطبع لن يخرج أحد في هذا الطقس البارد، أعد كتابي يا اندرو

- نحن نرتدي الكثير، سنجلس قرب المدفئة وسنتحدث عن أمور مبهجه

أخيرًا وصل صبر كيفين لأقصاه حين وقف لينتزع كتابه من يد اندرو صائحًا بحنق

- كفاك الحاحًا، ألم تلاحظ بأنك تزعجني منذ البارحة؟ لم تخرج من بيتي إلا ورأسي معبأ بثرثرتك، ماذا بقي لنتحدث فيه؟ هات كتابي واغرب من أمامي أيها العثة

توقف الجميع عما يفعله وعم الهدوء أرجاء الصف بينما تحدق كل العيون باتساعها في صاحب الصوت المجلجل المجهول!

كان اندرو لا يزال يحدق مبهورًا لكيفين بينما يده الفارغة معلقة في الهواء، رغم أن كيفين كان قد عاد يجلس في كرسيه يبحث بيده عن الصفحة التي وصل لها بينما يبعثر مقدمة شعره بيده الأخرى مغمغمًا بعصبية

- كـ كيفين! لم أكن أعرف بأنني أغضبتك لهذا الحد

زمجر المعني محدقًا إليه من بين أهدابه بشراسة، فتراجع اندرو كالجرو الخائف

- حـ حسنًا، أنا آسف، سأصمت

ثم غادر إلى مقعده يجر أذيال الخيبة، رفع عينيه لكيفين مقطبًا وتنهد حين وجده قد عاد للقراءة بوجه مقتضب، ماذا يفعل بوعده الآن لايلك؟ لقد فشل فشلًا ذريعًا في العناية بكيفين ولا يستطيع أن يخبره بمقدار تفاؤله بعودة ايلك للمدرسة في حين أن ذلك الأخير لم يخبرهم بشيء

لعل كيفين يعتقد بأن السبب الذي جعل ايلك يتكلم مع الأستاذ ادورد هو لأجل أن يسحب أوراقه من المدرسة، وفاته أن ايلك صار بحاجة لتحديث أوراقه بعد أن تغير اسمه

حسنًا يعترف بأنه كان ليصبح في مثل حاله لو لم ينصت لتلك المحادثة التي أجراها ايلك مع الأستاذ ادورد في يوم حفلته، لقد كان ايلك يتذمر بشأن الأوراق الكثيرة التي يتطلبها تحديث بياناته في المدرسة لاسمه الجديد

أخرج هاتفه ليصور كيفين عازمًا على أرسالها لايلك لأجل أن يرق قلبه عليهم ويخرج من صمته ليخبرهم بقراره ولكن حدقة كيفين ارتفعت فجأة إليه فكاد يبتلع الهاتف رعبًا، وابتسم له بخوف وهو يهبط بذراعه مخفيًا هاتفه ببطء

- لن أفعلها مجددًا

. . .

خرج من غرفة والدته بعد أن تأكد من استلقائها على السرير ثم سار في طريقه نحو الخارج لكنه توقف عندما لمح ايدين يخرج من مكتب جيمس بصحبة جيرارد بينما هما يتحدثان بجدية حول بعض الأمور التي تتمحور حول ايلك بلا شك

اهتز هاتفه فأخرجه محدقًا لاسم المتصل، قطع الاتصال ثم أرسل رسالة للمتصل مفادها بأنه لا يستطيع الرد الان وبأنه حتمًا سيعاود الاتصال قريبًا، وظل بعدها منشغلًا بهاتفه

أثناء ذلك كان جيرارد وايدين قد تفرقا في الخارج بعد التحية متوجهًا كل منهما لعمله، وكان جيرارد قد انطلق خارج حدود منزل ايلسون بينما ظل ايدين واقفًا قرب سيارته بانتظار ايلك، فهو بعد أن عرف بأن اليوم موعده الاسبوعي في المستشفى قرر أن يأخذه هو بدلًا من جيرارد كي لا يؤخره عن عمله أكثر مما فعل

جاء ايلك يسرع في خطواته بينما هو يرتدي معطفه الليلكي الطويل ذو القلنسوة

- المعذرة ايدين جعلتك تطيل الانتظار

سأله وهو يعدل ياقة معطفه الملتوية قائلًا

- ما الذي أخرك هكذا؟

- كنتُ أتحدث مع مايك فلقد جاء للتو ليترك رسالة لفرانك

قطب ايدين وهو يلج إلى السيارة، وحين استوى الأثنان في مقاعدهما قال متسائلًا

- غريب، لم أقابله حين جاء

تصلب ظهر ايلك وبسرعة أجاب متوترًا

- لعله جاء من مدخل آخر

نظر ايدين نحوه مستنكرًا توتره، لكنه لم يعلق وحرك السيارة خارج حدود منزل ايلسون لينطلق في قيادة مستقرة نحو المستشفى

- هل أخبرتَ اصدقاءك بشأن عودتك للدراسة معهم؟

سرعان ما ارتسمت ابتسامته على ذكر اصدقاءه

- لا، أخطط لمفاجئتهم، بالرغم من أنني أعتقد بأنهم يتوقعون عودتي

ابتسم ايدين وهو يلقي نظرة على بهجته الظاهرة

- هل أنتَ متحمس للعودة؟

- كثيرًا جدًا بقدر لا تتصوره، أشتاق للندن واشتاق لأيامي فيها مع اصدقائي، اشتاق للمدرسة وللصفوف ولحفلات القهوة التي نقيمها كلما تعبنا من الدراسة، اشتاق لكل تلك التفاصيل

ثم صمت قليلًا وعاد يقول بابتسامة لم تفارقه

- ومتحمس جدًا لتلك الأيام مع الفروق الجديدة في حياتي، متحمس للحظة التي أقرر فيه العودة للمنزل نهاية الأسبوع دون أن احتاج لطلب الإذن أو للقلق بشأن أن اقابل جين، هناك الكثير من الخطط في رأسي

اتسعت ابتسامة ايدين وقال مشاركًا أخيه في بهجته

- سيكون من المبهج لي أن أتوقع ظهورك في أي وقت، ستغادر غدًا صحيح؟

- نعم، كنتُ أرغب برؤية أنجيلا قبل ذهابي لكني سمعتُ من ديمون بأنها مشغولة في دراستها

قطب ايدين وهو يأخذ المنعطف الأخير

- آه حسنًا، إنها في سنة التخرج الآن وستكون مشغولة كثيرًا، لكني لم أتوقع منك أن ترغب في رؤيتها

قال ايلك نكاسًا رأسه

- أظنها بحاجة لتراني، كانت تبدو مرعوبة حين رأت مني ذلك الجانب آخر مرة

ظل ايدين يحدق له صامتًا، ثم ربت بيده على رأسه قائلًا بنبرة ناعمة

- لطيف منك أن تفكر بها، لكنها بخير فهي أقوى مما تبدو عليه

ثم ابتسم وهو يوقف محرك السيارة مردفًا

- إنها تسألني عنك باستمرار لذا هي مطلعة بالفعل على آخر أخبارك

نظر إليه ايلك متفاجئًا فتابع ايدين بذات الابتسامة

- يكفي أن تتصل بها، سيسرها ذلك

. .

كان الطبيب يثني على حالته مما أراحه كثيرًا، لم تعد اصاباته خطيرة بشكل يعيق حياته

سأله ايدين ما إن كانت حالة اضلاعه تسمح له بامتطاء الخيل ولم يجد الطبيب مشكلة في ذلك بعد اسبوعين، احتياطًا للسلامة

كانا الآن يجلسان متقابلين داخل مقهى صغير ذا جو دافئ، تحدثا طويلًا عن أمور شتى، ظل ايلك يُظهر حماسته الشديدة لأيامه القادمة، وظل ايدين يصغي له ببسمة مرتاحة لم تفارقه

قلبه مرتاح جدًا، لم يتخيل أبدًا أن تصبح هذه اللحظة يومًا من الواقع، كانت دومًا تكبر في أحلامه وحسب

حقيقة أن ايلك هنا الآن أمامه يعيش مع ابتسامة تفيض سعادة وقد ملك كل ما طمح دائمًا في توفيره له

الأمان.. العائلة.. والسعادة

لكنه سيظل دومًا آسف لعجزه عن تحقق رغبته الأخيرة، في أن يكون طبيعيًا كالبشر

- أتعلم ايدين

انتبه من شروده على صوت ايلك الهادئ، نظر لعينيه التي كان يرخيها محدقًا لفنجان قهوته، ثم لفمه الذي يطبقه مترددًا فيما سيقول

- ماذا؟

حثه على الحديث مستخدمًا أنعم نبرات صوته، فظهرت بسمة غريبة على وجه ايلك قبل أن يرفع عينيه إليه ويقول

- منذ فترة، قابلتُ كايل، هل تتذكره؟

اخذته المفاجأة على حين غره، فظل صامتًا للحظة قبل أن يجيب

- نعم

وصمت ينظر متمعنًا لوجه أخيه الذي نكس عينيه وقال

- لم أتعرف على صوته، لقد كان هو من ناداني

- أكنتَ لوحدك حينها؟

ابتسم ايلك للقلق في صوت أخيه وقهقه بشكل استنكره قبل أن يرفع عينيه إليه ويقول

- كان فرانك معي، وهذا ما جعل كايل يثور علي، لقد بدا غاضبًا لرؤيتي أضحك مع شخص ما وأنا الذي كنتُ أُبعده عني متذرع بعدم رغبتي في تعريضه للخطر

ارتخت ملامح ايدين فابتسم ايلك لذلك

- كنتُ متفاجئًا من لومه لاختفائي، لم أنطق بأي شيء يريحه لذلك غادر وهو يقول بأنه مرتاح كفاية لأنني على قيد الحياة

وصمت للحظة قبل أن يعود محدقًا بجدية نحو ايدين

- أرغب بأن أقابله مجددًا يا ايدين، أريدك أن تبحث عنه لأجلي

- وما الذي ستفعله حين تقابله؟

سأله ايدين بنبرة حيادية، فمالت ابتسامة ايلك حين قال والثقة تفيض من صوته

- سأعيده لصفي مجددًا بالطبع، لا أريد لسوء الظن أن يستمر بيننا

- واه

انفلتت من بين شفتيه مع ضحكة لم ينجح بمنعها ثم أردف مبتسمًا بفخر

- لقد ازدادت ثقتك كثيرًا أيها الوغد الصغير

ضحك ايلك على كلماته ورد بشقاوة

- وما الذي لا أملكه كي لا أكون واثقًا؟

ارتفع حاجبي ايدين باستنكار فاسترسل ايلك قائلًا

- لدي قدرات خارقة، ولدي وجهي الوسيم، ولدي خالي المحامي، وجدي رئيس مركز شرطة اسكوتلندا، لدي معارف من الفضاء الخارجي وأصدقاء بقدرات فريدة، ولدي العديد من الاتصالات التي أستطيع بها تحريك الكثير من الأمور كما يحلو لي

ورفع كتفيه بغرور حين أردف

- ما الذي لا أملكه؟

- التواضع

قالها ايدين بصوت جامد فأخذ ايلك يطرف بعينيه مفكرًا

- مهلًا، هذا خارج عن السياق

ضحك ايدين وهو يهز رأسه

- لا بأس، فأنا لا أستطيع انكار ذلك

ابتسم ايلك بثقة فنثر ايدين شعره قبل أن يقول

- سوف أجلب لك ما تريد، لكن عدني ألا تضغط على نفسك لأجل أحد

ابتسم ايلك وقال مؤكدًا

- كن مرتاحًا فأنا لم أعد أتحرك لأجل الأخرين، ذاتي تأتي في المقدمة

. . .

جاء صباح اليوم التالي مثلجًا في لندن، كانت التوقعات تقول عكس ذلك ما جعل كيفين يبدو أكثر عبوسًا لأخيه الصغير الذي

ظل يحدق له عبر طاولة الطعام بينما هو يبتلع لقمته ويرتشف بعدها من حليبه الساخن

- أخي، هل ستوصلني اليوم إلى المدرسة في طريقك؟

نقل كيفين عينيه عن النافذة وحدق لتوم قائلًا بانزعاج

- لا نية لي في الذهاب باكرًا اليوم لذا اذهب مع السائق

تنهد توم وقد اعتاد على مزاج أخيه الغريب هذه الأيام

- حسنًا، إذن سوف اذهب الآن فطلاب فصلنا يخططون لأن يلعبوا الحرب الثلجية هذا الصباح

نظر إليه كيفين معترضًا ولكنه قرر ألا يكون صارمًا معه فهو لا يزال طفلًا بحاجة إلى اللعب، مرر بصره على ملابسه ثم قال

- لا بأس بذلك ولكن ليس قبل أن تغير معطفك هذا لمعطف جلدي يقي من البلل، سيكون معطفك القرمزي مناسبًا، ولا تنسى قفازك الجلدي

عبس توم وهو ينهض مهرولًا للأعلى ليغير ثيابه ثم عاد بعد برهة وقال بينما هو يرتدي حقيبته متعجلًا

- أنا مغادر

ألقى كيفين عليه نظرة أخيرة ليتأكد من حذاءه إن كان مناسبًا

- كن حذرًا من الانزلاق

- بالطبع

تابع كيفين تناول فطوره بخمول بينما خرج توم والنشاط يملأه

ولم تمضي دقيقة حتى بدأ يسمع صوت ارتفاع ضحكاته في الخارج، ضاق جبينه وهو يتساءل محتارًا، ثم سرعان ما ساوره القلق ونهض تاركًا الطاولة ليُطل من النافذة، لكن السيارة كانت تغادر أسوار المنزل بالفعل واستطاع أن يلمح توم يجلس في المقعد مبتسمًا قبل أن تتوارى السيارة خلف الجدار

تنهد وهو يحث خطواته عائدًا حين سمع اهتزاز هاتفه فوق الطاولة، أجاب على مكالمة ايلك وهو يجلس ببطء في مقعده متداركًا نبضات قلبه التي تسارعت في توجس

- مرحبًا ايلك

جاء صوت ايلك مرتبكًا

- أوه كيفين مرحبًا.. أمم حسنًا.. كنتُ أخطط للظهور بشكل رائع ولكن.. كما ترى.. أنا عالق!

قطب كيفين وقال بوجه مرهق

- لم أفهم شيئًا مما تقوله

- أنا عالق

قالها بضحكة متوترة فأخذ كيفين يعرك جبينه مضطربًا وهو يتساءل لما لا يخبره بقراره بسرعة ويريحه

- عالق؟

- نعم

- ثم؟

- لا، أعني، إني عالق هنا، بالمعنى الحرفي

أحس بثقل في صدره، وجثم الهم على قلبه، وقال مغمض عينيه بتعب

- عالق في اسكوتلندا؟

- أه لا، عالق في الشجرة

في الشجرة؟ فجأة بدأ يلاحظ نبرة صوت ايلك الغريبة! يبدو كصوته حين يتورط بمصيبة

- ما الذي تهذي به؟

- لا تغضب، أيمكنك أن تساعدني؟

- وكيف أساعدك بالضبط؟ ألا يمكنك أن ترصف جملة مفهومة؟

- يجب أن تساعدني يا كيفين وإلا سأتجمد من البرد، أحضر لي السلم، لا أستطيع النزول، معطفي عالق في جذع الشجرة من الخلف ولا أستطيع الوصول إليه، لقد حاولت أن أخلعه يا كيفين ولكنه مسحوب إلى الأعلى بشدة، رأسي يتدلى والياقة تخنقني، حاولت الوقوف لكن الجذع رقيق وأخشى أن ينكسر من أسفلي، كله بسبب توم، لن ألعب معه مجددًا ذلك المخادع

وظل يشتكي بنبرة متباكيه في حين يبذل كيفين كل جهده في محاولة التقاط كلمة يفهمها، هل هذا الأحمق يقول بأنه لعب مع توم وعلق في شجرة منزله؟

لقد كان محقًا في ظنه!!

كان كيفين الآن يقف محدقًا بجمود لمنظر ايلك الأبله بينما هو معلق في الشجرة ونهاية معطفه عالقة في نتوء غصن عالي بينما هو جالس على الجذع

الواضح بأنه استخدم السلم ليصعد إلى هناك هاربًا من قذائف توم الثلجية فغدر به ذلك الأخير وأبعد السلم عن الشجرة كي لا يتمكن من النزول

- إنني الفظ انفاسي الأخيرة يا كيفين، أسرع وأصعد وخلصني قبل أن ترتقي روحي إلى السماء

أرخى كيفين هاتفه إلى الأسفل وهو يقول بنبرة جمدتها الصدمة

- ماذا تفعل هنا؟

- سنناقش هذا بعد أن تنقذ حياتي

قالها بوقار فتنهد كيفين وهو يتحرك ليجلب السلم الملقي على الأرض الثلجية، ثبته على الشجرة وصعد لينقذه ثم صار يحدق إليه بينما هو جاثٍ على الأرض أمامه يدلك رقبته في تبرم

- لن أنسى له ذلك، سأسعى لانتقامي

أجفل برعب حين جره كيفين من تلابيب قميصه وسحبه إلى داخل المنزل ليلقيه على الأريكة قبل أن يقف أمامه عاقدًا ساعديه

- ما الذي جلبك اليوم إلى هنا؟ ظننتُ بأنك قررت أن تخبر ايدين بقرارك وبأننا متفقان على أن تتصل بي بعد ذلك! ما معنى وجودك هنا الآن؟ هل ما أفكر فيه الآن صحيح؟

طرف بعينيه كثيرًا شاعرًا بالرعب من كيفين

- لقد اتفقنا على أن اتصل بك ولكني ظننتُ بأنه لا حاجة للاتصال بما أن عودتي قريبه

تراجعت حدة كيفين وارتخت عقدة يديه في حين سأله بجبين ضيق

- عودتك؟ تعني عودتك للندن؟ هل عدتَ يا ايلك؟

أومأ ايلك بهدوء فسأله كيفين غير متأكد

- هل ستتابع الدراسة في لندن؟

أومأ مجددًا ثم أجفل منتفضًا حين صرخ كيفين بصبر نافذ

- قلها بلسانك

- لقد عدتُ، لقد قررتُ أن أتابع دراستي في لندن حتى التخرج، وسأزور ايدين وعائلتي مثل الجميع كل اسبوع

قالها مستعجلًا وهو يغمض عينيه خوفًا من قبضة كيفين التي كانت تنتفض مهدده

وحين عم الهدوء فتح عينيه ببطء ونظر إليه خائفًا

- لماذا أنت مخيف هكذا؟ لم يكن اندرو يكذب في رسالته تـ

قطع كلامه حين انتبه لوجه كيفين، كان يحدق له بعيون يغشاها الألم ودموعه تلتمع بين محاجرها عاجزة عن الصمود

- كـ كيفـ

فاجأه حين اقترب ليعانقه متأوه بألم، وأصابه القلق حين أحس بارتجاف جسده بين يديه التي سرعان ما رفعها ليربت على ظهره، لم يستطع التحمل حين تسلل أنينه المكتوم لسمعه وانهارت دموعه أمام ضعف صديقه

- آه تبًا لهذا

تأوه كيفين وهو يبتعد عنه ليفاجئه بضربة قوية على رأسه كادت تقسمه لنصفين، رفع يده لرأسه وهو يحدق مصدومًا لعديم الإحساس

- كـ كيف يمكـ؟

تمتم بها غير مصدق، ثم مسح دموعه عن وجهه بسرعه ووقف صائحًا باعتراض

- كيف يمكنك أن تفعل هذا في لحظة عاطفية كهذه؟

أجابه وهو يجلس بوهن ماسحًا دموعه بيده

- المعذرة لم أستطع كبت شعور من الحقد باغتني للحظة

ظل ايلك يحدق إليه وهو يفرد يديه في الهواء غير مصدق، فنظر إليه كيفين وقال

- أنا متعب من كل هذا، الآن لاحظت بأنني متعب، لابد من أنني كنتُ مشدود الأعصاب مؤخرًا لذا لم ألاحظ تعبي حتى ارتحت الآن

مط ايلك شفتيه متبرمًا ولم يكن منه إلا أن اقتنع بحجته

- سوف أصنع لك القهوة لتعطيك بعض الطاقة

ثم غادر ليعد القهوة بينما ظل كيفين يتنهد وهو يدلك عينيه التي ظلت تذرف الدموع بشكل رهيب، آآه يا لها من راحة، يا لها من راحة

تسللت بسمة صغيرة إلى ثغره، وسرعان ما اتسعت واتسعت حتى قهقه بخفوت، مسح عينيه مجددًا ثم أخذ يحدق في يديه، إنها لا تتوقف عن الارتجاف، تبًا لهذا إنه عاجز عن السيطرة على مشاعره كليًا، يبدو وأن سعادته توشك أن تنفجر بداخله، يمكنه الاحساس بقلبه وهو يتضخم بداخله، سوف ينفجر قريبًا

أخذ يمسح على قلبه وهو يلقي برأسه إلى الخلف متنهدًا براحة، يا للهول، إنه ينبض بقوة، هل سيكون على ما يرام؟

وابتسم من جديد، فلا شيء يهم الآن، لقد زال غمه وانحل خناق تنفسه، يمكنه الشعور بالهواء النظيف يملأ رئتيه كما لو أنه يقف في قمة جبل عالي بعيدًا عن هواء المدينة الملوث

ناداه ايلك ليشرب القهوة على المائدة بينما يتناول هو الفطور

- ألم تتناول الفطور بعد؟

- لقد استيقظتُ متأخرًا وهرعت إلى المطار، فبالأمس سهرتُ مع ايدين ولم أعد للمنزل إلا في ساعة متأخرة

رفع عينيه لكيفين وتابع بعد أن ابتلع لقمته

- قال يوجين بأنه سيطبخ شيئًا حين نصل ولكني فكرتُ أن أتناول الفطور معك

رفع كيفين حاجبيه وسأل باهتمام

- هل أرسله جيمس معك؟

- أوه لا، بالطبع لا، يقول بأن لديه أعمال مؤجلة في لندن منذ وقت طويل بسببي، علمتُ بأن جيمس كان قد فرض البقاء في المنزل في تلك الفترة على جميع أفراد العائلة لأجلي

كان كيفين يتأمل تلك الابتسامة الدافئة على وجه ايلك بينما هو يتحدث عن عائلته قبل أن يرفع عينيه إليه ويسأله باهتمام

- كيف حال الجميع هنا؟ لم يتصل بي أحدهم منذ لقاءنا الأخير

حاول كيفين أن يتذكر حالهم

- كل ما لاحظته هو أن اندرو يمكنه أن يكون أكثر وجود ثقيل في هذا الكون

أخذ ايلك يضحك وهو يضع يده على فمه، ابتلع لقمته ثم قال ضاحكًا

- لقد وعدني أن يهتم بك، يبدو بأن الأمر كان صعبًا عليه

نظر إليه كيفين صامتًا ثم قال

- تناول طعامك بسرعة ودعنا نغادر قبل أن نتأخر

عندما وصلوا إلى المدرسة قال ايلك بأنه يسمع أصوات الجميع في الفناء الخلفي واتجه لهم ببسمة عريضة بينما هو يجر كيفين الذي تذمر بشأن عدم رغبته في البقاء خارجًا في هذا البرد

كان الجميع هناك يتراشقون بالثلج بينما ترتفع ضحكاتهم وصرخاتهم، ما عدا هاكون الذي وقف بعيدًا عنهم أسفل الشجرة يجري مكالمة مع كلير والبسمة لم تترك شفتيه

فجأة هدأت أصوات الجميع حين أخذوا يتهامسون متآمرين على ذاك المسكين ثم راحوا يصنعون كرات ضخمة تسللوا بها من خلفه، كادوا يهجمون عليه لولا أن ايلك الذي لم يلاحظه أحد بعد، صنع كرات بعددهم وقذفها على رأس كل واحد منهم وهو يضحك كالشرير على صوت صيحاتهم المتفاجئة

التفتوا إليه جميعهم في تفاجئ فاتسعت أعينهم حين رأوه واقفًا أمامهم يضحك رافعًا رأسه إلى السماء بينما هو يضع يديه على وسطه كالطفل المشاكس

- هذا درس لكم للعبتكم القذرة، تتآمرون خمسة ضد واحد! يا للعار

وأخذ يهز رأسه بأسى في حين صاحت مادلين بعدم تصديق

- ايلك!

اتسعت بسمة اندرو في حين ظل هاكون ينظر إليه طارفًا عينيه بعدم تصديق بينما لا يزال الهاتف على أذنه!

- ايلك!

قالتها أنيا بمثل نبرة مادلين وتأوهت لافي مغرقة العينين

- إنه حقًا

ارتفعت ضحكة براين وهو يركض باتجاه ايلك ليقفز عليه

- أي مفاجئة هذه

وأخذ ينثر شعره متعلقًا برقبته حتى اطاحه على الأرض الثلجية، بدا ايلك متعبًا وهو يستلقي مستسلمًا لبراين الذي ظل يضحك وهو ينثر الثلج من فوقه

- أضلاعي لن تشفى أبدًا على الأغلب

تمتم بها متعبًا ثم نظر لهاكون الذي كان يبتسم منحنيًا إليه ليمد له يده قائلًا

- سوف يقبرك براين بالثلج إن لم تظهر المقاومة

هز ايلك رأسه بيأس وهو يمد يده لهاكون الذي سحبه ليقف على قدميه ثم عانقه بترحيب

- أهلًا بك في لندن من جديد

وابتعد ليحدق في ابتسامته السعيدة

- لقد كنتُ على وشك أن أيأس من عودتك

ضحك ايلك ثم فتح يديه للجميع حين تحلقوا حوله وعانقهم عناق جماعي وهو يهتف بنبرة تمتلئ سعادة

- لقد عدتُ يا رفاق

ضحكوا معه جميعهم ثم سرعان ما انتشروا هاربين منه حين انحنى ليجمع الثلج مدركين نيته الخبيثة

وعادوا للعب من جديد، مثل صبية طبيعيون، لا تقلقهم هموم أكبر منهم، ولا تثقلهم الأسرار، ولا يخيفهم مستقبل مجهول

يضحكون بملء قلوبهم، ولربما ذرفوا دمعة أو اثنتين، لكنها قطعًا كانت دموع السعادة

وحين خسر الطغاة، لم تكن الضحايا وحدها من هتفت، بل الكون بأسره

تمت

HAIRO
15\8\2020